# الباب الثالث

## التجديد فى الفكر الإسلامى وإتجاهاته وصلته بتربية المرأة المصرية

obeikandl.com

مدخل :

تحدثنا فيما سبق عن إتصال الشرق الإسلامى بالغرب ، وأشرنا إلى أهمية هذا الإتصال فى تغذية الفكر الإسلامى وتجديده وقدرته على استيعاب أحداث العصر وتطوراته ، كما أشرنا إلى الصلة الوثيقة التى تربط ما بين التجديد فى الفكر الإسلامى وما بين تربية المرأة المصرية الحديثة .

وإذا كان النصف الأول من القرن التاسع عشر قد شهد مولد هذا الإتصال الحديث ما بين الشرق والغرب وبالتالى مولد التجديد – ما بين الشرق والغرب – فإن النصف الثانى من نفس هذا القرن قد شهد نضج هذا التجديد وفعاليته بحيث إكتملت أسسه ورسخت دعائمه وأصبح منطلقا للنهضة النسائية الحديثة .

وفى هذا الباب سنعالج فصلين أولهما عن التجديد ذاته من حيث تكوينه وعوامله ، وثانيهما عن إتجاهات التجديد فى صلتها بتربية المرأة المصرية .

والفصلان معا بما يعرضان من تطور فكرى يشغلان حيزا زمنيا معينا وهو النصف الثانى من هذا القرن موضع الدراسة .

obeikandl.com

# الفصل السادس

## التجديد فى الفكر الإسلامى تكوينه - خطواته

لا شك أن التجديد فى الفكر الإسلامى لم يولد من عدم أو يحدث على حين غرة بل شأنه شأن أية ظاهرة اجتماعية تخضع لسنن التطور والترقى ، فتمر أولا بمرحلة النشأة ثم تأخذ بعد ذلك فى مراحل التطور المتتالية حتى تستكمل مقوماتها وتستوفى معالمها .

وإذا كان لكل ظاهرة من خلفية تستند إليها فلقد كان إتصال الشرق بالغرب هو الأب الحقيقى لهذه الظاهرة الوليدة .

وفى هذا الفصل سنتناول الأمرين الآتيين :

١ - العوامل التى ساهمت فى نشأة هذا التجديد وتكوينه .

٢ - خطوات هذا التجديد .

**العوامل التى ساهمت فى نشأة هذا التجديد وتكوينه :**

نتيجة لإتصال الشرق بالغرب فى النصف الأول من القرن التاسع عشر حدث صراع وتحول فكرى شهده النصف الثانى من هذا القرن ، صراع فى كل قطاع من قطاعات الحياة ، فى القطاع السياسى والقطاع الاقتصادى والقطاع الاجتماعى ، وتحول فكرى من الجمود والتخلف إلى الإنطلاق والطموح فظهرت الصيحات الوطنية التى تطالب بالإستقلال وظهرت الدعوات الإصلاحية التى تدعو للنهوض ، وأصبح المجتمع المصرى فى النصف الثانى من هذا القرن أشبه بالبوتقة التى تتفاعل فيها عناصر مختلفة لتسفر فى النهاية عن عنصر جديد لم يفقد مقوماته الأصيلة العريقة فى الوقت الذى ضم إلى مكوناته عناصر جديدة .

وكان أبرز عناصر التفاعل التى ساهمت فى صياغة هذا التجديد هو ما يأتى :

١ – المحافظة على البقاء ومحاولة التحرر :

لقد وقع العالم الإسلامى تحت وطأة الإحتلال نتيجة لتخلفه وضعفه ولم يكن أمام العالم الإسلامى إلا أن يستهدى الطاقة الخلاقة المبدعة وهى طاقة الدين ليدرأ عن نفسه خطر الزوال ، وهى طاقة ليست قوية فقط فى إبان النشأة ، بل هى طاقة تصمد وتدفع للعمل فى أحلك الظروف .

وكان مما أثار هذه الطاقة وأيقظها من مكمنها – استئثار الحكام بالسلطة المطلقة ، ومصادرة كل الحريات ومساوىء الحكم الأجنبى ، مما أثار فى الناس روح الثورة والمقاومة من أجل التحرر من أغلال الإستبداد والمحافظة على الوجود الإسلامى إزاء الهجوم الاستعمارى البغيض .

٢ – الصحافة :

وتعد الصحافة من أقوى عوامل النهوض بالشعب فى رقيه الفكرى والوجدانى وكانت الصحافة منبر المفكرين الذى يشكلون الرأى العام ، فعن طريقها واصل الأفغانى ومحمد عبده أداء رسالتهما فى جريدة العروة الوثقى التى صدر العدد الأول منها فى ١٣ مارس عام ١٨٨٤ م أى بعد الإحتلال بعامين ، وقد حددت الجريدة فى أول أعدادها أغراضها على الوجه التالى :

( أ ) بيان الواجبات على الشرقيين التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف ، ويستلزم ذلك بيان أسباب الضعف وأصول العلل .

(ب) اشراب النفوس عقيدة الأمل فى النجاح .

(جـ) دعوتهم إلى التمسك بالأصول التى كان عليها آباؤهم وأسلافهم .

( د ) الدفاع عما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمين خصوصا ، وإبطال زعم من قال إن المسلمين لا يتقدمون فى المدنية ما داموا متمسكين بأصول دينهم .

(هـ) اخبار الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة منها والخاصة .

( و ) تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية ، وتمكين الألفة بين أفرادها[1] .

---

(١) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

ومن الصحف السياسية التى ساهمت فى نمو الوعى القومى وإظهار الحاجة إلى التجديد – جريدة وادى النيل التى ألفتها الحكومة عام ١٨٨٢ م ومؤسسها هو عبد الله أبو السعود ، وجريدة نزهة الأفكار التى تأسست عام ١٨٦٩ م ومؤسسها إبراهيم المويلحى ومحمد عثمان جلال ، وقد ضاق إسماعيل بها ذرعا فعطلها ، ثم جريدة مصر التى صدرت فى عام ١٨٧٧ م وأسسها أديب إسحق وسليم نقاش ، كذلك أيضا جريدة الأهرام التى أسست فى عام ١٨٧٥ م .

أما عن الصحافة النسائية التى تعالج قضايا المرأة وخاصة تعليمها فقد ظهرت بمصر عام ١٨٩٢ م ، وكانت هند نوفل أول من قدم دورية نسائية فى الشرق تعالج حال المرأة ومركزها الطبيعى وتدعو إلى رقيها وتطورها والوقوف بها على قدم المساواة مع المرأة الأوربية[١] .

كما ظهرت صحيفة أنيس الجليس عام ١٨٩٨ م لصاحبتها ورئيسة تحريرها « الكسندرة أفرينو » التى قامت بترجمة العادات والتقاليد الأوربية الحديثة ونقلها من اللغات الأجنبية إلى اللغةالعربية ، وطلبت من المرأة التحلى بها وبينت الطرق السليمة لتربية الطفل منذ ولادته حتى ذهابه للمدرسة[٢] .

### ٣ – البعوث العلمية :

وقد شكلت البعوث العلمية نواة للفكر الحديث وذلك لما قامت به من نقل للمعارف والفنون وما دعت إليه من تطور ورقى ، فكان أعضاؤها مشاعل تضىء طريق الفكر وتهدى إليه ، ومن هؤلاء على مبارك – ت – ١٨٩٣ م – أبو التعليم كما يلقبه حسين فوزى ، فهو الذى أعد لائحة رجب عام ١٨٦٧ م وهو الذى دعا إلى تعميم التعليم الشعبى ، كما دعا إلى تعليم المرأة مؤيدا دعوته بأن المرأة المتعلمة السافرة أصون لنفسها وأحفظ لكرامة زوجها وأهلها من الجاهلة المحجبة ، وهو يدعو إلى أن تتعمق المرأة فى الثقافة والمعرفة حتى تستوى فيها بالرجل ، ويرى أن الحياة الزوجية تكمل سعادتها بالتقارب الثقافى والذهنى بين المرء وزوجته ، كذلك أيضا يقر عمل المرأة بإعتبار أن

---

(١) إجلال خليفة ، الحركة النسائية الحديثة ، ص ٣٦ .

(٢) المرجعالسابق ، ص ٤٢ .

الحياة شركة بين الزوجين ، ولذا جعل زوجة علم الدين تعمل لتعين أسرتها بالخياطة والتطريز[١] .

وهو يقف موقفا معتدلا من الإختلاط فلا يبيحه كلية ، ولا يدعو للعزلة تمام يقول : « كنت أتأمل فيما أراه من الأحوال لاسيما فى إختلاط النساء مع الرجال فوجدت فى إختلاطهن فوائد لهن ... لكن ربما ترتب على هذا الإختلاط ما يخرجهن عما هو أليق بهن من الصيانة والحياء ، لأن كثرة المخالطة والملامسة بين الرجال والنساء قد تفضى إلى ضد ذلك ، فلا شك أن عادات الشرقيين أرجح ورأيهم فى احتجاب النساء عن الرجال أصلح وأصلح » .

وفى موضع آخر يقول أن التربية هى التي « ترشدها لما يجب عليها من الفروض وتكسوها حلل المروءة اللائقة بها وبزوجها وأقاربها ، فكما لا يكتفى بمجرد العلم مع الحرية ، كذلك لا يكتفى بمجرد العزلة مع الجهل ، بل لابد فى كلا الحالين من حسن التربية »[٢] .

### ٤ – الجمعيات العلمية :

والجمعيات هى دليل على يقظة الأمة وحيويتها ورغبتها فى التطور ، وقد بدأت تباشيرها فى عهد إسماعيل ، ومن هذه الجمعيات جمعية المعارف التى تأسست عام ١٨٦٨ م ، وهى أول جمعية علمية مصرية ظهرت لنشر الثقافة عن طريق التأليف والترجمة والنشر وقد أسسها محمد باشا عارف ، وكان لهذه الجمعية مطبعة خاصة بها ، فقامت بطبع طائفة من أمهات الكتب فى التاريخ والفقه والأدب .

كذلك أيضا الجمعية الجغرافية التى أسست عام ١٨٧٥ م وتعد من أهم المنشآت العلمية بمصر ، وهى تعنى بالأبحاث العلمية والجغرافية وتدوينها ونشرها ، ولها مجلة دورية تنشر أبحاثها ، وكان أول رئيس لها هو العالم الألمانى الدكتور « جورج شونفرت » .

ومن هذه الجمعيات أيضا الجمعية الخيرية الإسلامية التى أنشئت أول الأمر بالإسكندرية عام ١٨٧٨ م ، وقد دفعت الحماسة جماعة من المتعلمين بالإسكندرية إلى تأسيسها بعد

---

(١) على مبارك : علم الدين . الإسكندرية : مطبعة جريدة المحروسة ١٨٨٢ م .

(٢) حسين فوزى النجار ، على مبارك أبو التعليم ، أعلام العرب ، عدد ٧١ ص١٢٧ .

أن شاهدوا طغيان الأجانب ؛ أما الجمعية الحالية فقد أسست فى عام ١٨٩٢ م وكان الداعى لتأسيسها الشيخ محمد عبده[١] .

### ٥ – الحركة القومية العالمية :

ومن العوامل التى ساعدت على نمو الوعى القومى والأخذ بالتجديد تلك الحركة القومية التي شهدها القرن التاسع عشر حتى سمى هذا القرن بعصر القوميات ، فقد شهد الوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية ، وكان لظهور الحركات القومية أثرها فى ظهور القومية العربية وفكرة الجامعة الإسلامية وإذا كانت حركة القومية الحديثة قد بدأت مع قدوم الحملة الفرنسية فإنها قد إزدادت فى أواخر القرن الماضى[٢] .

### ٦ – الثورة العرابية :

كانت الثورة العرابية عام ١٨٨١ م هى قمة الإنفعال بالأحداث ، فقد كانت تعبيرا حيا عن التلاحم بين الشعب والجيش ، كما منحت الأمة الثقة فى القدرة على التعبير ، والتمسك بالحياة النيابية ، والوقوف أمام تدخل الأجانب فى شئون الحكم ، ولقد وصلت هذه الثورة بالأحداث إلى ذروتها من العنف والفكر معا ، وكشفت عن ظهور طبقة مصرية صميمة أخذت تتنبه لموجة الإحتلال التى بدأت فى لين ، ثم استحالت إلى عنف وتدخل سافر ، كما أخذت تعمل على توجيه التحول الفكرى إلى غايته السامية ، هذا التحول الذى بدأ منذ الحملة الفرنسية ، ليزدهر على يد رفاعة الطهطاوى .

لقد دفع هذا الرقى الفكرى بالأحداث إلى غايتها ، ونشط حركة التحرير والتجديد معا .

### ٧ – مدارس الإرساليات الدينية الخاصة بالبنات :

لا يمكن أن نقلل من الدور الذى أدته هذه المدارس وهيأت به لنمو الوعى القومى فى الدعوة لتربية المرأة .

---

(١) الرافعى ، عصر إسماعيل ، ط ١ ، جـ ١ ، القاهرة : ١٩٣٢ م ، ص ٢٥٦ – ٢٥٩ .

(٢) عبد الغنى البشرى ، أثر سياسة القوميات فى الحركة القومية العربية ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٦ م (الفصل الثالث) .

فقد قام الآباء الفرنسيسكان بإنشاء مدرسة للبنات فى نقادة عام ١٨٥٥ م ، ومدرسة أخرى بقنا عام ١٨٦٣ م ، وفى نحو هذا التاريخ فتحوا مدارس للبنات فى طهطا وأخرى فى أخميم ، كذلك أسسوا مدرسة بالقاهرة عام ١٨٥٩ م ، وقد منحها الخديو إسماعيل عند توليته ٥٠ ألف فرنك و٩٠ أردبا من القمح كل عام ، كما أنشأت أخوات « سان فنسان دى بول » مدرسة لهن عام ١٨٧٢ م وتضم ٨٨٠ بنتا .

أما الإرساليات البروتستانتينية فقد زاد عدد مدارس البنات الأمريكية وخاصة فى عهد إسماعيل ، وقد اتخذت من أسيوط مقرا للدعوة ، وفى عام ١٨٦٥ م أنشأوا بأسيوط مدرسة لإعداد المعلمات ، وفى عام ١٨٦٦ م أسسوا مدرسة للبنات بالمنصورة ، وفى عام ١٨٦٨ أسسوا مدرسة للبنات بسنورس وفى عام ١٨٧٥ م أسسوا إنجيلية تجهيزية للبنات بأسيوط ، وفى عام ١٨٧٧ م أسسوا بأسيوط إنجيلية إبتدائية للبنات .

أما عن المدارس الإنجيلية والأسكتلندية فقد تأسست مدرسة للبنات فى عام ١٨٦٠ م ، وفى عام ١٨٦١ م بدأت مس هويتلى – ابنة أسقف دابلن – مدرستها « التبشيرية » وقد بلغ من حماستها لعملها أنها كانت تنزل إلى أحياء القاهرة لتجمع البنات من أشد الطبقات فقرا ، وكانت تعلمهن أشغال الإبرة ، وتلقنهن مبادىء المسيحية[1] .

ولقد ساعدت هذه المدارس على تهيئة الجو للدعوة إلى تعليم البنت تعليما نظاميا بعد أن شاهد المصلحون ما شاهدوه من تجارب هذه المدارس ونفعها ، يقول « لوثوب ستودارد » تتضح لنا خطورة التعليم الغربى فى الشرق أحسن إتضاح بما هو ظاهر ومشهود من النتائج الاجتماعية الكبرى ، ألا وهو ترقية شأن المرأة وإعلاء مقامها ، فقد كان للمؤثرات الغربية أثر كبير فى إنتشار تعليم الإناث إنتشارا كبيرا[2] .

وبعد – فهذه العوامل مجتمعة قد أدت إلى نمو الوعى القومى وكشفت عن ضرورة التجديد فى الفكر الإسلامى بحيث يواكب العصر ويسايره ، وبحيث يتبنى الدعوة لتربية المرأة بإعتبارها دعامة للرقى والتطور .

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم ، **تاريخ التعليم فى مصر** ، عصر إسماعيل ، جـ ٢ ص ٨٤١ – ٨٥٣ .
(٢) لوثروب ستودارد ، **حاضر العالم الإسلامى** ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨ .

خطوات التجديد :

نتيجة للعوامل السابقة التى ساهمت فى إحداث التجديد – زادت حمية الرواد والمصلحين ، للتجديد والترقى بالمجتمع الإسلامى وضرورة الدعوة لتربية المرأة .

وقبل أن ينطلق التجديد ويأخذ إتجاهاته العديدة ، كان عليه أن يمر بخطوتين متتاليتين هما :

( أ ) الإهتداء بالماضى والإقتداء به .

(ب) دراسة عوامل التخلف .

## الإهتداء بالماضى والإقتداء به :

ليس التجديد وليد هذا العصر ، بل هو يضرب بجذوره البعيدة فى باطن الماضى يستلهمه ويستهديه ، وحين نحاول الوقوف على هذه الجذور ، فإننا نجدها تمتد إلى ابن تيمية ، ومن بعده محمد بن عبد الوهاب ، ومن بعدهما السنوسى ، فحركة التجديد هذه حركة ذات أصول تاريخية عامة وذات روح واحدة مستقاة من حقيقة الإسلام وطبيعته الحيوية المرنة الخالدة .

## ابن تيمية وأهم آرائه (٦٦١-٧٢٨ هـ) :

عاش ابن تيمية فى عصر يموج بالفتن والمؤتمرات والدسائس السياسية ، فقد شهد عصره سقوط بغداد فى يد التتار وظهور الإفرنج ، كما شهد موجة من الإلحاد والإنحلال الخلقى ، بعد أن تعددت المذاهب ، وكثرت الملل وإختلفت الأجناس والطبقات .

ورغم ما عرف به هذا العصر من علوم ومعارف – حتى سمى بعصر الموسوعات – إلا أنه لم يعرف بالتجديد أو الابتكار ، فقد عكف أهله على دراسة ما وصل إليه السابقون وانكبوا عليه يفهمون ويفيدون[1] .

ويمكن الوقوف على أهم ملامح فكره من خلال تناوله للأسس التى يجب أن يقوم عليها المجتمع المؤمن السليم .

---

(١) محمد يوسف موسى ، ابن تيمية ، أعلام العرب عدد ٥ ، ص ٤٦ .

كان الإمام – ابن تيمية يرى أن المجتمع المؤمن السليم هو الذى يقوم على دعامتين أساسيتين هما : إخلاص الدين لله وحده ، والعدل فى المعاملة ، وفى ضوء هاتين الدعامتين يمكن وضع الأسس التى يقوم عليها المجتمع سواء كانت هذه الأسس سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية .

كذلك أيضا كان من أبرز ملامح فكره منهجه فى التشريع ، فقد اعتمد ابن تيمية فى تشريعه على الكتاب والسنة ثم على آراء الصحابة وذلك لأن القرآن الكريم قد تضمن كل الأشياء بصورة مجملة ، ثم جاءت السنة فأوضحت وفصلت ما أجمل فى القرآن ، ثم أخذ الصحابة عن الرسول بيانه وتفصيله ، وعنهم أخذ التابعون بإحسان .

وهو لا يعارض فى إتخاذ القياس والإجماع مصدرين للتشريع ، ولكنه يعود بهما إلى الكتاب والسنة .

ولا يفهم من هذا أنه يهمل العقل ، ففهم الكتاب والسنة يحتاج إلى قلب واع وعقل مفكر نافذ ، غاية ما فى الأمر أنه لا يسمح للعقل بالإنطلاق على سجيته حتى لا يضل كما ضل بعض الفلاسفة ، وخاصة فى خوضهم لمسألة التأويل فى القرآن ، فقد نشأت هذه المشكلة بسبب وجود تعارض بين ما جاء فى القرآن والحديث ، وبين ما هدى إليه العقل من رأى وفكر .

أما هو فقد رأى ألا تعارض مطلقا بين العقل والنقل ، والمنقول الذى يخالف العقل لا يكون إلا حديثا أو نصا آخر له دلالة قاطعة على ما يراد الإستدلال عليه[1] .

وكان من أبرز ما نادى به ابن تيمية هو عدم التعصب لرأى أو الجمود عنده ، لأن هذا مدعاة للضعف والخواء الفكرى ، لذا دعا للإجتهاد وهاجم التقليد ، وكانت له آراء طريفة اصطدمت بما هو شائع فى كتب الأئمة الأربعة ، فهو الذى أفتى بأن الحلف بالطلاق ثلاثا فى لفظة واحدة يعد طلاقا واحدا لا ثلاثة ، وقد صدر فى فتواه عن فهم للنصوص وبصر بروح التشريع .

وفى ضوء ما سبق من آراء أنكر الإمام ابن تيمية كل ما لا يمت لحقيقة الإسلام بسبب ، فرأى ألا تلازم بين الكرامة والولاية ، وأنكر ما يدعيه البعض من جرى الخوارق

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٢ – ١٢٧ . العدل (التوحيد) ابن تيمية .

على أيديهم ، وعد هذا ضربا من الشعوذة والخرافة ، كذلك منع الإستغاثة بغير الله ولو كان المستغاث به نبيا ، ومنع أيضا التقرب بالموتى ورأى فيه ضربا من الباطل[١] .

**الدعوة الوهابية :**

صاحب هذه الدعوة هو محمد بن عبد الوهاب – ١٧٠٣ : ١٧٩١ م – نشأ ببلدة تسمى « العيينة » تعلم دروسه الأولى بها على يد رجال الدين الحنابلة وطوف فى كثير من بلاد الإسلام ، فأقام بالبصرة وبغداد ، وكردستان ، وهمذان ، وأصفهان ، ودرس فلسفة الإشراق والتصوف .

ويبدو أنه تأثر بابن تيمية ، وعرفه عن طريق دراسته الحنبلية فأعجب به ، وعكف على كتبه ورسائله يكتبها ويدرسها ، وفى المتحف البريطانى بعض رسائل لابن تيمية مكتوبة بخط ابن عبد الوهاب ، فكان ابن تيمية إمامه ومرشده والموحى إليه بالإجتهاد والدعوة إلى الإصلاح[٢] .

حصر محمد بن عبد الوهاب دعوته فى إصلاح العقيدة ، فلم ينظر إلى الإصلاح من زاوية المدنية الغربية وموقف المسلمين منها ،ولم ينظر إلى الإصلاح المادى كما فعل محمد على معاصره[٣] .

ولقد لقى محمد بن عبد الوهاب الكثير من العنت والمعارضة ، وكان أكبر من خالف الشيخ فى ذلك هو أخاه الشيخ سليمان صاحب كتاب « الصواعق الإلهية »[٤] .

ومن الدعائم التى قامت عليها دعوته مسألة التوحيد ، فالتوحيد هو عماد الإسلام ، وهو الذى ميز الإسلام عما عداه ، ولذا سمى أتباع هذه الدعوة بالموحدين ، أما اسم الوهابية فهو اسم أطلقه عليه الخصوم واستعمله الأوربيون .

ومعنى التوحيد أنه تعالى ليس فى حاجة إلى عون أحد من الخلق مهما كان من المقربين إليه ، وليس فى الوجود من يستحق التعظيم غيره ، وينعى ابن عبد الوهاب على العالم الإسلامى هذه البدع والخرافات من إقامة الأضرحة والتوسل بالأولياء والتمسح

---

(١) محمد أبو زهرة ، ابن تيمية ، ط ١ ، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٥٢ م ص ٣١٨ – ٣٢٢ .
(٢) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص ١٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٥ .
(٤) عباس العقاد ، الإسلام فى القرن العشرين ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٩٥٤ م ، ص ١٠٨ .

بهم والإعتقاد فى أنهم يصرفون أمور الناس ، ويعيب على المسلمين المغالاة فى الجهل بالإعتقاد فى الجماد والنبات ، فهاجم أهل بلدة « منفوحة » باليمن الذين كانوا يعتقدون فى نخلة لها قدرة عجيبة من قصدها من العوانس تزوجت لعامها ، وكل هذا ضرب من الشرك والكفر .

كذلك أيضا من الدعائم التى قامت عليها هذه الدعوة – دعامة تتصل بالتوحيد وهى أن الله تعالى وحده هو مشرع العقائد ، وهو وحده الذى يحلل ويحرم ، وليس كلام أحد حجة فى الدين إلا كتاب الله وسنة رسوله ، وكلام الفقهاء فى التحليل والتحريم ليس حجة بل كل من توفرت فيه مقومات الإجتهاد له الحق أن يجتهد ، ويستخرج من الأحكام ما يهديه إليه فهمه لنصوص الكتاب والسنة .

وكان يرى أن إغلاق باب الإجتهاد ، نكبة على المسلمين إذ أضاع شخصيتهم وقوتهم على الفهم والحكم وجعلهم جامدين مقلدين ، لذا انحط شأنهم وتفرقوا شيعا وأحزابا يلعن بعضهم بعضا ، ولا منجاة من ذلك إلا بالرجوع إلى الدين فى أصوله الأولى ، كانت الدعوة الوهابية حربا على كل ما ابتدع فى الإسلام من عادات وتقاليد ، فلا اجتماع لقراءة مولد ، ولا احتفاء بزيارة قبور ، ولا خروج للنساء وراء الجنائز ولا إقامة أذكار يغنى فيها ويرقص ، ولا محمل يتبرك به ويتمسح .

مع أن الدعوة الوهابية دعوة دينية فى جوهرها ، إلا أنها كانت ذات أثر بالغ فى اليقظة العربية ، بما دعت إليه من عودة إلى أصول الإسلام ، ما يحمله هذا من بذور لدعائم الفكر القومى الحديث ، فاعتناق آل سعود لهذه الدعوة وإصطدامهم بالخليفة العثمانى – خلق الأمل فى إيجاد دولة عربية ذات قوة غالبة ، ولذا كانت الدعوة أول صوت عربى بدأ محاولة إعادة سلطان العرب .

ويرى بعض الدارسين أنه لو تم لهذه الحركة سيرها لتغير وجه التاريخ فى الشرق الأدنى ، ومع أن قوتها السياسية قد زالت زمنا ما ، فقد فتحت أفقا جديدا للمسلمين فى كافة أنحاء العالم الإسلامى وخاصة العربى[1] .

على أن هذه الحركة كان لها صداها فى الحركة السنوسية التى تلتها ، كما كان لها أثرها فى دعوة الإمام محمد عبده ، فقد رأى محمد عبده ، تعاليم ابن عبد الوهاب تملأ الجو

---

(١) عبد الغنى البشرى ، أثر سياسة القوميات فى الحركة القومية العربية ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٦ م ، ص ١٠٧ .

فرجع إليها فى أصولها من عهد الرسول إلى عهد ابن تيمية إلى عهد ابن عبد الوهاب وقد أداه إجتهاده وبحثه إلى هذين الأساسيين اللذين بنى عليهما ابن عبد الوهاب تعاليمه وهما : محاربة البدع ، فتح باب الإجتهاد[١] .

## الدعوة السنوسية :

وصاحب هذه الدعوة هو محمد بن على السنوسى الخطابى وقد ولد فى عام ١٧٩١ م ببلدة « مستغانم » من بلاد الجزائر ، قرأ العلوم فى « فاس » وحج إلى مكة عام ١٨٢٩ م ، وفى أثناء طريقه تلقى إجازات كثيرة ، وعاد إلى المغرب ، وفى عام ١٨٣٩ م عاد إلى الشرق وأخذ يقرأ فى الأزهر ، ولكن الشيخ عليش راعه ما رآه فيه من إستقلال فى الفكر فأفتى بمخالفته للشرع ، كذلك حصلت ريبة فى أمره بمكة لميله إلى بعض المذاهب الوهابية .

وقد كثر أتباعه فى واحة الفرافرة ، وفى القطر الطرابلسى وفى القوات (غربى الجزائر) وفى السودان حيث كان له عشرون زاوية ، وفى عام ١٨٥٥ م أسس مركز طريقته « بجغبوب » وبنى بها مدرسة للعلوم الدينية كما بنى بها مسجدا ، ورأى أن ينشر دعوته بنشر الزوايا فى أرجاء العالم الإسلامى[٢] .

وإذا ما حاولنا أن نتعرف على أوجه الشبه بين هذه الدعوة والدعوة الوهابية السابقة لها ... فإننا نجدها تشبهها فى الدعوة إلى نبذ البدع والخرافات ومنع الغلو فى تقديس المشايخ الأموات أو الأحياء ، ومنع التمسح بالقبور والتوسل بالأولياء ، وهذه الدعوة لا تسمح لأتباعها أن يذكروا ميتا عند قبر بغير الدعاء له والترحم عليه ، كما أنها تدعو إلى الرجوع بالإسلام فى أصوله الأولى ممثلة فى الكتاب والسنة[٣]

وهكذا يتضح لنا أن هذه الدعوات كانت دعامة أساسية استند إليها التجديد ، ومصدرا استلهمه الرواد والمفكرون الإسلاميون بهدف العمل على تحقيق النهوض للمجتمع الإسلامى من خلال الأخذ بمبادىء الدين الخالدة التى تكفل للبشرية تحقيق السعادة والطمأنينة .

---

(١) أحمد أمين ، **زعماء الإصلاح** ، ص ٢٣ .

(٢) لوثروب ستودارد (ترجمة عجاج نويعض) ، **حاضر العالم الإسلامى** ، جـ ١ ، القاهرة : المطبعة السلفية ١٣٤٣ هـ ، ص ١٧٦ .

(٣) عباس العقاد ، **الإسلام فى القرن العشرين** ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٩٤٥ م (الحركة السنوسية) ، وانظر أيضا محمد فؤاد شكرى ، **السنوسية دين ودولة** ، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٤٨ م .

دراسة عوامل التخلف :

كانت دراسة هذه العوامل والوقوف عليها هى الخطوة التالية فى إحداث التجديد ، وإذا ما حاولنا التعرف على هذه العوامل فإننا نجدها تتوزع ما بين عوامل دينية وعوامل سياسية وعوامل اقتصادية وعوامل خلقية وأخيرًا عوامل تربوية .

العوامل الدينية :

تمثل هذه العوامل أهمية خاصة فى ضعف المسلمين وتخلفهم وزوال سلطانهم ، ذلك أن الدين هو روح الأمة وسر بقائها متى كان خالصا من الشوائب والأباطيل ، حتى إذا ما إلتبس به ما ليس منه وعلقت به الخرافة والأباطيل – تخلف المجتمع وأخذ بخطواته إلى التدهور ، فيأخذ المغرضون فى نسبة هذا التخلف إلى الدين مع أن الدين من كل ذلك براء .

وقد سبق أن تحدثنا عن هذه العوامل فى الفصل الثانى ، وإذا كنا هنا نبرزها بصورة محددة فذلك لأن الرواد المصلحين قد وقفوا عليها ووجدوا فيها سر التخلف والتدهور بعد أن إستيقظت فيهم روح التجديد والإصلاح .

١ – الخطأ فى فهم القضاء والقدر : إن الفهم الخاطىء لعقيدة القضاء والقدر وتأثير فكرة الجبر فى الأمة – كان له أبرز الأثر فيما عاناه المسلمون من جمود وتخلف ، ولقد تناول السيد جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده فى العدد السابع من جريدة العروة الوثقى بتاريخ ١ مايو عام ١٨٨٤ م – هذا الموضوع ، وأوضحا كيف أن عقيدة القضاء والقدر كانت مدعاة للفزع ، فهى التى يفسر بها ضعف المسلمين وكيف أنهم يعيشون فى فقر وتخلف فى القوى الحربية والسياسية عن باقى الأمم ، وبسببها فشا فيهم فساد الخلق حيث كثر الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض ، كما تفرقت كلمتهم ، وأصبحوا جاهلين بأحوالهم الحاضر منها والمستقبل ، وقد غفلوا عما يضرهم وما ينفعهم ، وإرتضوا حياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ولا يتنافسون فى فضيلة ، ويحرص الواحد منهم أن يضر بأخيه فبأسهم بينهم ، يصرفون أموالهم فى إسراف وتبذير ، ويضحون بمصالحهم العامة من أجل مصالحهم الخاصة ، لقد سيطر عليهم الخوف وشملهم الجبن والضعف حتى لقد أخذوا يفزعون من الهمس ، ويألمون للمس ، لا توجد بينهم جمعيات

مائية كبيرة ، لا جهرية ولا سرية تهدف إلى اذكاء نار الجمعية الدينية وتنبيه الضعفاء ، وحفظ الحقوق من بغى الأقوياء وتسلط الغرباء .

٢ – الفصل بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية : ومن معالم الضعف أيضا هذا الفصل الغريب بين العلوم الدينية والدنيوية ، والقول بوجود عداء بينهما ، وقد كان لهذا أثره السيىء فى إنتشار الجهل ، وتفشى الجمود والعزلة داخل معارف قديمة لا تلائم روح العصر ولا تدعو لتقدم . ولقد علق السيد جمال الدين الأفغانى على ذلك بقوله : « وقد عم الجهل وتفشى الجمود فى كثير من المتردين رداء العلماء ، حتى اتهم القرآن بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة ، والقرآن برىء مما يقولون ، والقرآن يجب أن يجل عن مخالفة العلم الحقيقى خصوصا فى الكليات »[1] .

وقد كانت أيضا محاولة تستهدف التوفيق بين العلوم العصرية – عرضة للإتهام بالإلحاد والمروق من الدين ، وقد تعرض الأفغانى نفسه لهذا الإتهام ، فقد إتهمه الشيخ عليش بالإلحاد لأنه يدعو للفكر والنظر ، وقد علق الأفغانى على ذلك بقوله : « والإلحاد فى نظر هؤلاء وأمثالهم شيء هين يكفى ألا يسير المرء سيرتهم ، ولا يلبس لباساتهم ، وأن يدخن السيجار ويجلس فى المقهى ويلتف حوله بعد اليهود والنصارى ، ليحكموا عليه بالإلحاد »[2] .

٣ – التقليد والجمود : ومن معالم الضعف البارزة إغلاق باب الإجتهاد ومصادرة كل محاولة فكرية حرة تستهدف مسايرة العصر وضرورات الحياة المتغيرة ، وتوفير الحياة الملائمة للإنسان وقد إرتبط الحرص على التقليد وعدم محاولة الإجتهاد بالرغبة السياسية للحكام ، فالتقليد يمهد للحاكم قيادة أمته فى رضوخ وإستسلام فيستطيع أن يسلبها إرادتها ويقتل كل طموح فيها حتى تظل هكذا أسيرة رغباته ونزواته .

وكم كان ضيق المصلحين شديدا بذلك التقليد وهذا الجمود ، لقد نعى الأفغانى على المسلمين هذا وأنكره عليهم داعيا إياهم إلى التحرر من جمود الماضى وعبوديته ، ويقول أن القاضى عياض عندما قال ما قال فإنما ذلك بقدر ما وسعه عقله وناسب زمانه ، فهل لا يحق لأحد غيره أن يقول ما هو أقرب للحق وأوجه وأصح من قول القاضى عياض

---

(١) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص ١١٤

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٠ .

أو غيره من الأئمة فلا يصح الجمود عند أقوال أناس بعينهم قد أتيح لهم أن يدرسوا ويستنبطوا ويأتوا بما يناسب زمانهم ويتناسب مع عقول جيلهم ، ذلك لأن الأحكام تتبدل بتبدل الأزمان ، ويتعجب الأفغانى من معنى إغلاق باب الإجتهاد ولم يرد نص فى ذلك ولم يقل أحد من الأئمة بمنع الإجتهاد من بعده وبعدم الإهتداء بهدى القرآن الكريم وصحيح الحديث ، والأخذ بالإستنتاج ، والقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية ، وحاجات الزمان وأحكامه مما لا ينفى جوهر النص[١] .

٤ – الجدل والتعصب : وهو من معالم الضعف البارزة ، وقد كان نتيجة لسابقه ، فقد أثرت فتن الجدل فى العقائد الدينية ، وأدت إلى الإسترسال للتخالف والتفرق فى الدين ، والإنصراف عن سماحة الدين وسهولة التدين ، وقد أخذ الفقهاء المتأخرون بالتشديد والتزمت خلافا للسلف ، وشوهوا أفكار الأمة بكثرة التخالف فى الآراء فى فروع الدين وأحكامه ، والتعصب للمذاهب ولآراء المتأخرين ، وهجر النصوص ومسلك السلف والإصرار على نبذ الحرية الدينية ، وترتب على كل هذا أن تطرق الشرك الصريح أو الخفى إلى عقائد الأمة[٢] .

٥ – البدع والخرافات : ومع التقليد والجمود وبسبب التعصب والجدل العقيم ، تكون البدع الهدامة والخرافات المخربة للعقول والعقائد الداعية للإستسلام والتواكل والقعود عن كل عمل ، فقد إنتشر الإيمان بالسحر والشعوذة ، والتبس بالتصوف ما لا يمت للإسلام بصلة ، وقد أنكر الشيخ محمد عبده ما كان يحدث بمسجد الحسين ، فقد كان مجلس ذكر السعدية ينعقد به كل يوم ثلاثاء ولم يكن يذكر اسم الله إلا مصحوبا بضرب الطبل[٣] .

ومن البدع الغريبة التى ذكرها الامام محمد عبده تلك البدعة التى كانت تسمى « بالدوسة » ومعناها أن ينطرح الناس على الأرض مصطفين أحدهم لجنب الآخر ، ثم يعلو أحد المشايخ على ظهورهم بحصان يدوسهم به واحدا بعد واحد حتى يأتى عليهم جميعا وهم مسلمون من أهل الايمان قد أمر الله بتكريمهم وحرم اهانتهم إلا لحد أو تعزيز شرعى[٤] .

---

(١) محمد عمارة ، **الأعمال الكاملة للأفغانى** ، القاهرة : دار الكتاب العربى ، ١٩٦٨ م ص ٣٢٩ .
(٢) محمد عمارة ، **الأعمال الكاملة للكواكبى** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٠ م ، ص ٢٥٠ .
(٣) محمد رشيد رضا ، **تاريخ الأستاذ الإمام** ، حـ ٢ ، ص١٣٣ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

العوامل السياسية :

ليست الأسباب الدينية وحدها هى الكامنة وراء هذا الضعف بل كان للأسباب السياسية أثرها القوى والخطير فى حالة الضعف التى وصل إليها المسلمون ، وهذه الأسباب وثيقة الصلة قوية الأرتباط بالأسباب الدينية ، فالحاكم الجائر هو الذى يعمل على قتل الروح الدينية وتأويل الدين لما يخدم أطماعه باستقطاب رجال يدعون أنهم حماة الدين وأهله فيكون ما يكون من ضعف وجمود .

ويمكن أن نحدد هذه العوامل بعاملين أحدهما وثيق الصلة بالآخر وهما : الإستبداد ، الإستعمار .

١ – الإستبداد : لقد كان الطابع العام للحكم – على مستوى الخلافة أو الولاية – هو النزعة الإستبدادية والإنفراد بالحكم والأخذ بالديكتاتورية وعدم الإعتراف بحق الشعب فى تصريف أمور بلده ، فالسلطان عبد الحميد مثلا (١٨٧٦ – ١٩٠٩ م) قد حكم البلاد حكمًا إستبداديًا مطلقًا قائمًا على التجسس والإرهاب ، وتبدو نزعته الإستبدادية فى ضيقه بدستور عام ١٨٧٦ م وهو الدستور الذى كان ينص على الحد من السلطة المطلقة للسلطان ، وضمان الحرية والمساواة لجميع رعايا الدولة ، وإتاحة الحرية فى التعليم لكل الشعب وجعله إجباريًا ، وإباحة حرية الصحافة والنشر ، ومنع مصادرة الأموال وإلغاء السخرة ، والنص على أن دين الدولة هو الإسلام ، وقد أوقف العمل بهذا الدستور عام ١٨٧٧ م أى بعد عام واحد فقط من صدوره ، ولقد ظل الدستور معطلا مدة احدى وثلاثين سنة ، وقد ضاق الناس بهذه السياسة الإستبدادية خاصة وأنه أراد أن يجد لها سندا من الدين ، فادعى أنه حامى الدين وخليفة المسلمين ضد الأطماع الأوربية ، وقد احتضن لذلك عدة صحف ومجلات أخذت تروج لسياسته الإسلامية المغرضة ، ولكم كان قاسيا عليه أن يجد زعيمًا سياسيًا هو الكواكبى الذى يقف ضده ويفضح نواياه وينبه الأمة إلى الخطر الدائم الذى تجلبه هذه السياسة فكتب « طبائع الإستبداد » يحارب فيه الإستبداد بكل صوره وضروبه ، ويوضح أنه أساس كل تخلف وجمود ، فالإستبداد يعادى العلم ويناقض الدين ويحارب المجد ، ويفسد المال ويتلف الخلق ، ويقتل التربية ، ويهاجم الرقى .

ومما ذكره فى التربية والإستبداد قوله « خلق الله فى الإنسان استعدادًا للصلاح واستعدادًا للفساد ، فأبواه يصلحانه ، وأبواه يفسدانه ، أى أن التربية تنمو باستعداده

جسمًا ونفسًا وعقلاً إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ، وقد سبق أن الإستبداد المشئوم يؤثر على الأجسام فيورثها الأسقام ويسطو على الناس فيفسد الأخلاق ويضغط على العقول فيمنع نماءها بالعلم ، بناء عليه تكون التربية والإستبداد عاملين متعاكسين فى النتائج ، فكل ما تبنيه التربية على ضعفها يهدمه الإستبداد بقوته »[١] .

وقد هاجم الإمام محمد عبده هذا الإستبداد واستنكره ، وذكر أن الأمة التى لا حل لها ولا عقد فى شئونها ولا تستشار فى مصالحها ، ولا أثر لإرادتها فى مصالحها العامة ، بل هى خاضعة لحاكم واحد إرادته هى القانون ومشيئته هى النظام يحكم لما يريد ويفعل ما يرغب – هى أمة لا تثبت على حال واحدة ولا ينتظم لها سير فتتناوب عليها السعادة والشقاء ، ويتداولها العلم والجهل ويتبادل عليها الغنى والفقر ، والعز والذل[٢] .

على أن الإمام محمد عبده كان يرى أن الإستبداد لو سانده العدل لأمكن للأمة أن تنهض وترتقى ولقد كتب مقالا بعنوان « إنما ينهض بالشرق مستبد عادل » وقد ذكر فى هذا المقال أن المستبد هو الذى يُكره المتناكرين على التعارف ، ويرغم الأهل على التراحم ، ويحمل الناس على رأيه بالرهبة إن لم يحصلوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة وكان يقول إن خمس عشرة سنة من هذا النوع من الإستبداد كفيلة بأن ينمو فيها الفكر الصالح وأن يحدث فيها ما لا يمكن حدوثه فى خمسة عشر قرنا[٣] .

وفى مصر بدا الطابع الإستبدادى واضحًا جيًا ، فقد أخذ الحكام يتوارثون هذا الطابع ، كل منهم يحكم البلاد حكمًا مطلقًا ، والخديو كان يستمد رهبته وبطشه من الخليفة العثمانى أولا ثم من الإنجليز والفرنسيين ثانيا ، وكان أدنى جزاء يوقع على الشاكى أن ينفى إلى أقاصى السودان حيث يقضى بقية حياته[٤] .

وكان الخديو ينظر إلى مصر على أنها ضيعة ورثها عن آبائه وأجداده وقد صرح بهذا الخديو توفيق فى رده على زعيم الثورة العرابية الذى رد عليه بدوره بتلك الجملة الشهيرة « نحن لسنا عبيدا ولا نورث بعد اليوم » .

---

(١) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة للكواكبى ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م ، ص٢٥١ .

(٢) محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الأمام ، جـ ٢ ، ص٣٣٥ .

(٣) المرجع السابق . ص ٣٩ – ٣٩١ .

(٤) سيد حامد النساج ، مصر وظاهرة الثورة ، ط ١ ، القاهرة : دار النهضة الحديثة ص١٠٩ .

قد كان إسماعيل أبرز مثل لنطابع الإستبدادى فقد كان بمثابة الوارث المتلافـوالذى ورث عن جده محمد على طبيعته وعقليته فكان الحاكم المطلق ، والرأس الأكبر للأقطاع وكانت عقليته فى حكم البلاد هى عقلية القرون الوسطى ، رغم زيف المظاهر التى اجتلبها من أوربا تقليدا للأوربيين دون أدراك لروحها وغير شاعر أن ليس فيها كبير غناء لأمة مضطهدة مستغلة تحكم بالكرباج والسخرة ، ولم يكن يعرف مدى سخرية ملوك أوربا منه حين دعاهم لحضور حفل افتتاح القناة سنة ١٨٦٩ م ليعلن لهم عن عظمته الجوفاء[1] .

٢ – الإستعمار : والحديث عن الإستعمار سيكون فقط من منظور موضوعنا وهو الفكر الإسلامى فى صلته بتربية المرأة ، فالإستعمار قبل أن يكون غزوًا عسكريًا كان غزوًا فكريًا يكفل للمستعمر البقاء ودوام السيطرة ، لذا كان هدفه تخريب الإسلام واضعافه باعتباره الطاقة الخلاقة التى شكلت من أتباعه قوة الدفاع والنضال ضد أطماع كل معتمد أو دخيل .

وقد اتخذ الغزو الفكرى للإسلام صورتين :

( أ ) حركة الإستشراق .

(ب) الإرساليات التبشيرية .

( أ ) حركة الإستشراق :

ارتبطت هذه الحركة فى نشأتها بهدف إستعمارى هو تخريب الفكر الإسلامى وطمس معالمه وتشويه حقائقه حتى يتسنى للمستعمر الحكم ، ويقتل فى المسلمين تلك الروح الدينية الثائرة التى كفلت لهم دوام إسلامهم على إمتداد القرون هذا رغم ما قدمته هذه الحركة من خدمات علمية وأدبية .

وقد أخذت هذه الحركة فى الظهور بشكل واضح منذ القرن السابع عشر ، وسنعطى على سبيل المثال ثلاثة نماذج تكشف عن غاية المستعمر من وراء نشاط المستشرقين ، وهذه النماذج هى : هانوتو – رينان – داركور .

---

(١) محمد ضياء الدين الريس ، الشرق الأوسط ، ص١٥٦ .

### رأى « هانوتو » فى الإسلام والثقافة الإسلامية :

إن التشكيك فى التراث هو احدى الوسائل الإستعمارية التى كان يهدف بها الإستعمار إلى قطع كل صلة تربط ماضى الأمة بحاضرها ، وتقتلعها من جذورها التاريخية الأولى .

ولقد كتب هانوتو وزير الخارجية الفرنسية مقالاً طويلاً نشر بجريدة المؤيد فى عام ١٣١٧ هـ يصف فيه المسلمين وعقيدتهم ، ويمكن الوقوف على العناصر الأساسية التى دار حولها المقال وهى تتمثل فى :

– « ما يعتز به المسلمون ويفخرون به من معرفة وثقافة هو بعض بقايا تمدن البيزنطيين وليست ثقافة أصيلة مبتكرة » .

– « رسالة فرنسا للمسلمين المنضوين تحت سيادتها هى رسالة المدنية والتقدم التى يحملها شعب مسيحى متقدم إلى شعب إسلامى سامى الأصل له نظمه وعاداته المغايرة المتخلفة » .

وهنا تتضح تلك النزعة الجنسية التى جعل منها أساسا للنظرية الإستعمارية ، والتى تبرر سيطرة الغرب لجنسه السامى على الشرق لجنسه الأدنى .

– المسلمون الذين يخضعون للنفوذ الفرنسى ليسوا منقطعى الصلة ببقية المسلمين ، بل يربطهم بعضهم ببعض رباط قوى هو رباط الدين ، والديار التى يحتلها الفرنسيون يعتبرها المسلمون ديار حرب ، وليست ديار سلام ، ومن ثم فإن الخطر موجود فى الداخل والخارج ، إذ ما يخافه المستعمر هو الإسلام تلك الروح القوية ، ولذا يحذر منه « هانوتو » ويعمل على إضعافه .

فالمقال يهدف إلى التشكيك فى أصالة الفكر الإسلامى وطمس معالمه بإدخال المدنية الغربية ، كما يهدف إلى إضعاف المسلمين باعتبارهم خطرا يهدد الوجود الإستعمارى .

### رأى « رينان » فى الإسلام والثقافة الإسلامية :

وعلى نفس الوتيرة ولنفس الغاية يسير رينان ، فقد ألقى محاضرة فى السربون دارت حول نقاط ثلاث :

– لقد أخطأ المؤرخون عندما قالوا إن العرب لهم علوم ، وفنون وتمدين وفلسفة – ذلك أن هذه الأشياء هى نتاج الأمم غير العربية ، فالتمدين أكثره من نتاج الفرس ،

والفلسفة أكثرها من نتاج النصارى والنسطوريين والوثنيين الحرانيين ، والفلاسفة لم يكن منهم إلا الكندى عربى الأصل .

فنسبة الحضارة والمدنية والعلم والفلسفة إلى العرب خطأ وعدم دقة فى التعبير .

– الإسلام لا يشجع على العلم والفلسفة والبحث الحر ، بل هو عائق لها ، لما فيه من أعتقاد بالغيبيات ، وخوارق العادات ، والإيمان التام بالقضاء والقدر ، ومن اشتغل بالفلسفة من المسلمين اضطهد أو أحرقت كتبه ، ولذا فما وصل إلى العرب من فلسفة هى فلسفة مشوهة لليونان ، أما الفلسفة التى نقلها الأوربيون فى أسبانيا فقد كانت رهينة الترجمة .

ويذكر رينان أن عقول أهل البلاد الإسلامية قاصرة ، وما يتميز به المسلم هو بغضه للعلوم ، وأعتقاده أن البحث كفر ، وقلة عقل لا فائدة فيه .

– العنصر العربى بطبيعته أبعد العقول عن الفلسفة والنظر فيها ، والزمن الذى كان يسود فيه العنصر العربى – وهو عهد الخلفاء – لم تكن فيه فلسفة ، ولم يظهر البحث العلمى ولا الفلسفة إلا حين انتصرت الفرس ونصروا العباسيين .

## رأى « داركور » فى الإسلام والمجتمع الإسلامى ، والمرأة :

كتب الدوق « داركور » كتابا عن مصر فى ١٨٩٣ وكان قد زار مصر ثلاث مرات ، وقد بدأ منذ الفصل الأول بالهجوم على مصر والإسلام فأوضح ضعف الروح الوطنية المصرية بمعناها الأقليمى ، وذكر أن المجد الفرعونى لم يعد له أثره بعد أن توالت على مصر عصور الإستبداد ، وأوضح أن الجانب الأكبر من الشعب فلاحون يعيشون أدنى حياة ويسخرون من أجل سيد الأرض ، وما وصل إليه الفلاح المصرى أقسى مما وصل إليه العبيد ، ومن المتعذر أن توجد روح قومية ومقومات هذه الروح مفقودة ، وتحدث عن الجيش فذكر أن المصريين يتهاونون فى التربية العسكرية وهم يفقدون روح المغايرة ويرتبطون بالشريط الزراعى الضيق ويتحدث فى الفصل الثالث عن العادات الإجتماعية ونقدها نقدًا لاذعًا فالأسرة المصرية ضعيفة مفككة بسبب الطلاق ، ويخص الفصل السادس بوضع المرأة الإجتماعى فيعيب هذا الحجاب الشائع ، ويذكر أن فن العمارة رغم محاولة تطويره لم يمس فكرة الحريم ، فهناك قسم خاص بهن وقسم خاص بالرجال ، والمشربيات التى تستر المرأة أشبه بحجاب خلف حجاب ويوضح أن سبب

الحجاب هو خوف المحكوم من الحاكم وخوف الضعيف من القوى فلم يكن الرجل يأمن على ماله أو عرضه أو نفسه ، فدفن المال وسجن المرأة وعاش فى فزع .

وفى نقده لوضع المرأة يعزو السبب إلى الإسلام الذى تدخل فى كل العادات الشخصية للمسلمين ، فهو الذى أمر بالحجاب وكان سببا من أسباب إستمراره ، وبالحجاب انعزلت المرأة عن الحياة وعاشت فى جو من الخرافات والأوهام ، ولم تعد تعيش إلا للغرائز فهى تذكر بالمرأة التى صورتها قصص « ألف ليلة وليلة » أما المرأة الأوربية فهى تعيش فى جو صحى يدفع للعلم والعمل والحرية ويبعد بها عن الرذائل .

ويهاجم الإسلام فيذكر أنه لا يحث على البحث العلمى وأن كل النابغين من رواد النهضة الإسلامية القديمة فهم من غير العرب من أصل فارسى أو رومى ، فالنسطوريون كانوا أسمه الطب ، والاغريق هم الذين أدخلوا الرياضة فى الدولة العربية .

والدارس للعلم فى العصر الإسلامى ، يجده لا يخرج عن العلوم الشرعية ومن ثم فقد أحرق عمر بن الخطاب الإسكندرية حين فتح مصر .

والمدنية تقوم على العلوم الحديثة ، أما المسلمون فهم يعيشون على تراث الآباء وقد أثر الإسلام فى حياتهم تأثيرا كان سر اتكالهم فعقيدة القضاء والقدر دعتهم إلى الكسل والخمول وجعلتهم ينسجون أردية العبودية ، ويجرون أذيال الفاقة[1] .

وهكذا فقد كانت حركة الإستشراق تهدف إلى الضعف وتخريب العقيدة . قبل أن تهدف إلى خدمة العلم والتراث ، ورغم نزوعها للموضوعية العلمية أخيرا فهى لم تخل كثيرا من روح التعصب .

(ب) الإرساليات التبشيرية :

كانت الإرساليات التبشيرية احدى صورتى هذا الغزو الفكرى للإسلام وتشكيك للمسلمين فى ماضيهم ، وتراثهم ، وعاداتهم وأساليب حياتهم .

ومنذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وقد بدأت مصر تفتح أبوابها للأجانب بهدف العمل فى دوائر الحكومة أو المشروعات الأقتصادية ، وقد إزدادت حركة الإرساليات نشاطا بعد شق قناة السويس فى عهد سعيد ثم إتمامه فى عهد إسماعيل ولم يكن الهدف

---

(١) ماهر حسن فهمى ، قاسم أمين ، أعلام العرب – عدد ٢ ، ص١٠٢ – ١٠٥

الأقتصادى هو كل ما فى الحركة ، فقد كان لها نشاطها الدينى ، حيث اهتمت هذه الإرساليات بالدعوة إلى الدين المسيحى ، واتخذت من الكنيسة مصدرا لهذه الدعوة ، كما اتخذت من ممارسة التطبيب والتمريض مع الفئات الفقيرة مصدرا آخر .

وكان التعليم لدى هذه الإرساليات الدينية وسيلة من وسائل الدعوة الدينية والتبشير ، لذا لم تقصر هذه الإرساليات مدارسها على عاصمة البلاد ، وإنما أنشأتها فى حواضر الأقاليم ، وكثير من مدنها ، وحظى الصعيد منها بنصيب كبير[١] .

ولقد حذر الإمام محمد عبده من خطر التعليم الأجنبى ، وذكر أن رسل الطوائف الدينية فى مصر لا يهدفون إلى التعيش والاكتساب فقط بل الغرض هو التأثير فى الدين والعقيدة[٢] .

كذلك نبه السيد على مبارك فى عام ١٨٩٠ م فذكر أن مدارس الإرساليات لا تقدم التعليم الذى يتفق مع قومية الغالبية العظمى من سكان البلاد وديانتهم ولقد بلغ عدد الأجانب والطوائف غير الإسلامية فى مصر فى عام ١٨٨٧ م حوالى أربعمائة ألف من مجموع السكان ، بينما كان عدد المسلمين حوالى ستة ملايين ، كذلك بلغ عدد المدارس الأجنبية فى هذه السنة ١٩١ مدرسة ، وعدد تلاميذها ٢٢ ٧٦٤ فى مقابل عدد المدارس الأميرية فقد كانت ٤٠ مدرسة بها ٥ ٥٠٠ تلميذا[٣] .

ومع الإستعمار عانى العالم الإسلامى ومنه مصر الذل والإستغلال والتخلف والتبعية وسلب الإرادة واهدار الكرامة .

**العامل الاقتصادى :**

ولأن الحديث هنا عن التجديد فى الفكر الإسلامى فإنه يحسن أن نعرف عوامل الضعف فى هذا الجانب ، من وجهة نظر بعض المفكرين الإسلاميين .

وكان رأى الإمام محمد عبده بارزا فى هذا الجانب وواضحا فقد تحدث عن :

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى مصر عهد إسماعيل ، ٧جـ ٢ ، ص٨٢٣ .
(٢) محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الأمام ، جـ ٢ ، ص١٦٦ .
(٣) أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر إسماعيل ، جـ ٢ ، ص٨٣٢ .

### ١ – سوء توزيع الرأسمالية الوطنية :

وذكر أنه إذا انحصرت الثروة فى دوائر ضيقة لدى أشخاص قليلين ، حاجاتهم غير كثيرة – كسدت أسواق الصناعة والتجارة ، نظرا لقلة الراغبين فى الصنائع والبضائع ولقلة القادرين على إقتنائها ، كذلك تقل الرغبة فى الأعمال الزراعية لأن الجميع يكونون كالإجراء ، لا يهتمون إهتمام الملاك .

وكان يرى أن أسعد البلاد هى التى توزعت ثروتها على غالب أهليها – وذكر أن النظر يزداد وقوعا إذا وقعت الأملاك والمبيعات فى أيدى الغرباء والأجانب[١] .

### ٢ – الإسراف والتقتير :

تحدث الإمام محمد عبده عن قوام الحياة فذكر أنها تقوم بالكسب والاقتصاد فى الانفاق ، وكان يرى أن الاقتصاد فى الانفاق فضيلة لأنه وسط بين أمرين .

وقد عاب السرف والتبذير كما يبدو فى اعداد الولائم ، واتقان أشكال الزينة والتنافس فى تشييد الأبنية ، والتكاثر فى الملابس وأنواع الملاذ مع عدم الوقوف عند حد أو الإنتهاء عند غاية[٢] .

وإذا كان قد عاب السرف فهو أيضا قد عاب الإمساك والتقتير ، إذ يترتب على حبس المال التعطيل لوظيفته باعتباره الدم الذى يسرى فى شرايين المجتمع ولذا كتب يقول « ثم يودعون جميع ما يحصلون بطن الأرض ، وترتعد يد الواحد منهم عندما يقرب من الصرة أو الوعاء المحتوى على النقود ، بل إن ماله المكنوز ربما يمكن استزادته وتنميته ، ولكنه لا يرضى بذلك[٣] .

### ٣ – الكسل والتواكل :

ولقد كان هذا ذا أثر سيىء فى أضعاف الطاقة الإقتصادية وإنخفاض مستوى المعيشة وخاصة فى طبقة الفلاحين ، فالفلاح – كما يرى الإمام محمد عبده – ينتظر ماء السماء وهو راقد فإن نزل وإلا عم القحط والعياذ بالله .

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام ، جـ ٢ ، ص٥٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص٦٠ .

ويرى الكواكبى أن ترك الأعمال إنما كان بسبب ضعف الآمال ، وتفضيل الناس للإرتزاق بالجندية والخدم الأميرية على الصنائع[١] .

### ٤ – الأنانية وايثار المصلحة الخاصة :

وفى ضوء الأسباب السابقة طبيعى أن تتغلب نزعة الأنانية والأثرة ، والتضحية بالمصلحة العامة فى سبيل مصلحة خاصة ، وحتى الآن مازلنا نعانى من هذا السبب فالكثير منا يفتقد الإحساس المسئولية الوطنية ، والإلتزام بالمصلحة العامة ، وكل الغاية أن يحصل الفرد على حقوقه كاملة ، وأما واجباته فيمكن التسامح فيها أو التغاضى عنها .

ولقد أشار الإمام محمد عبده لهذا السبب عندما ذكر أن الناس يضحون بالمنافع العمومية من أجل أعمال جزئية كعدم البعد عن البلاد قليلا وترك بعض أعمال خصوصية فى البيت[٢] .

### – العامل الخلقى :

إن التمسك بالقيم والأخذ بالأخلاق لا يمكن أن يحدث بمعزل عن الملابسات الدينية والسياسية والأقتصادية ، فإذا ما تطرق الضعف إلى هذه الملابسات فلابد أن يتبعه ضعف فى الخلق وتحرر فى القيم ، والضعف فى القيم والبعد عن الخلق هو أخطر الأسباب المعجلة بنهاية الأمة وانهيارها قال تعالى ﴿إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ .

وفى ضوء ما لمسناه من الملابسات التى سبق الحديث عنها يمكن أن نقف على بعض ملامح الضعف الخلقى ممثلة فى :

### ١ – الرشوة :

والرشوة دليل على فقد الشعور بالواجب وأدائه فى الأمة ، وهى عادة شنيعة تضر بالدين والدنيا معا ، وهى متأصلة فى أدنياء الهمم ، والرشوة معناها التذلل الخبيث الذى لا يبيحه شرع ولا قانون ، وكان الإمام محمد عبده يرى أن الراشى والمرتشى شركاء فى الجريمة ، بل إن حظ الراشى أكبر .

---

(١) محمد عمارة . الأعمال الكاملة للكواكبى ، ص٢٥٣ .

(٢) محمد رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام ، ص٦٥ .

٢ – الجبن والخوف :

وقد كان هذا سببا من أسباب الضعف ، إذ لم يكن الفرد يقوى على مواجهة الحاكم بأخطائه ، ولم يكن يستطيع أن يقدم على الأعمال التى فيها رفعة للأمة واعلاء لمكانتها « ومن يتوهم أنه يجمع بين الجبن وبين الإيمان بما جاء به محمد ﷺ فقد فسق نفسه ، وغرر بعقله ، ولعب به هوسه ، وهو ليس من الإيمان فى شيء ، كما آية من القرآن تشهد على الجبان بكذبه فى دعوى الإيمان[١] .

فالإسلام ينكر الجبن وينعى على الجبناء ، والدعوة الإسلامية قائمة فى جوهرها على الجرأة والصراحة ، قال تعالى ﴿إن الله لا يستحيى من الحق﴾ وقال تعالى﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ .

٣ – الإنبهار بالغرب والتقليد له :

وكان من عوامل الضعف تقليد المسلمين الأعمى للغرب ،والإفتتان بمباهج الحياة الغربية والتنكر للتراث ، ولقد ذكر محمد المويلحى أن السبب فى إنتشار الفساد إنما هو فى دخول المدنية الغربية فجأة فى البلاد الشرقية ، وتقليد الشرقيين للغربيين فى جميع أحوال معايشهم « كالعميان لا يستنيرون ببحث ولا يأخذون بقياس ، فانصرفوا عن أصولهم القديمة وآدابهم الطاهرة[٢] .

ولقد ذكر الأفغانى أن المقلدين – كما علمته التجارب – هم نوافذ لتطرق الأعداء إلى داخل الأمة ، فتكون عقولهم مخازن الدسائس ومهابط الوساوس ، ويكونون « بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم ، واحتقار من لم يكن على مثالهم شؤما على أبناء أمتهم يذلونهم ويحقرون أمرهم ويستهينون بجميع أعمالهم[٣] .

– العامل التربوى :

غنىٌّ عن البيان أن نوضح مدى صلة التربية بالمجتمع فى كل أبعاده واتجاهاته ، ومدى تأثر التربية بالظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية .

---

(١) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة للأفغانى ، ص٣٧٤ .

(٢) محمد المويلحى ، حديث عيسى بن هشام ، ط ٥ ، القاهرة - مطبعة مصر ١٩٣٥م ص٢٨٩ .

(٣) محمد عماره ، الأعمال الكاملة للأفغانى ، ص١٩٦ .

وما نريد أن نوضحه الآن هو بيان كيف أن الضعف انتقل إلى مجال التربية وتطرق إليها بحيث أضافت إلى عوامل التخلف عاملا آخر له خطورته وأثره البالغ فى تدهور الأمة وانحطاطها ، فمع الجهل يكون التخبط وضيق الأفق ورواج البدع والخرافات والركون للكسل ، وعدم التطلع لمعانى الأمور .

وحقيقة أن الفترة التى تبدأ من عام ١٨٦٣ م حتى الأحتلال عام ١٨٨٢ م – تمثل فترة ازدهار بالنسبة للتعليم المصرى ، فقد قامت المشروعات التعليمية التى هدفت إلى نشر التعليم الأولى ، وتحقيق تكافؤ الفرص ، وذلك باصلاح الكتاتيب والإكثار من٤ها واتخاذها قاعدة للتعليم الشعبى[1] .

غير أن هذا الإزدهار المؤقت قد قدر له أن تجف موارده وينضب معينه فيصير تعليمًا مجدبًا مقفرًا ، ذلك لأن محاولات الإصلاح قد اختنقت فى قبضة الأحتلال ، وأصبح حال التعليم فى عصر الأحتلال هو أبرز صورة للضعف والتخلف .

لقد جعل الأحتلال من سياسته الإستعمارية هدفا لسياسته التعليمية ، فوقف بالتعليم عند حد أعداد طبقة من الموظفين والقنيين للعمل بالمصالح الحكومية ، ورأى أن التعليم الإبتدائى كفيل باعداد هذه الطبقة ، وحرص على أهمال التعليم الفنى وخاصة التعليم الصناعى ، وترديد فكرة أن مصر بلد زراعى ، كما قام بتقييد التعليم الثانوى والعالى بجعله بمصروفات ، وتخريبا للعقول ومحاولة لطمس معالم التراث عمل على نشر ثقافته الإنجليزية ، وجعل لغته هى اللغة الرسمية . وحتى تكون الأمور كلها فى يده اتجه للأخذ بالمركزية ، وشكل المناهج التى تلائم سياسته ، وأشاع جوا من الإرهاب بين المعلم والمتعلم ، وحارب اللغة العربية وسخر من مدرسيها والقائمين عليها لأنها لغة الدين .

ويمكن الإشارة إلى بعض مظاهر هذا التخلف التربوى فى الآتى :

### ١ – الموارد المالية :

لقد أشار الإمام محمد عبده إلى هذا المظهر فذكر أن الموارد المالية الخاصة بالتعليم ضئيلة ، وقد أهاب بالأغنياء أن يساهموا فى تعليم الأمة ، حتى يأمنوا تغلب الغير عليهم ، وتطاول الأيدى الظالمة إليهم ، فعلى الأغنياء أن يأتلفوا ويتحدوا ، وأن يبذلوا من أموالهم

---

(١) حسن سلامه الفقى ، التاريخ الثقافى للتعليم ، ص١٠١ .

فى سبيل افتتاح المدارس والمكاتب حتى تتسع دوائر التعليم فتعم التربية وينمو الإدراك ، وتهذب النفوس ، ويشتد الإحساس بالمنافع والمضار ، ويوصى الحكومة أن ترعى ذلك ، وأن تلحظ أحوال المعلمين والمتعلمين ، ويذكر الناس بالجمعيات الأوربية التى لم يكن أعضاؤها إلا الزراعيين والصانعين والتجار ، فإيراد الجمعية الواحدة يبلغ حوالى ثلاثين مليونا يصرف جميعه فى بث المعارف والعلوم[١] .

**٢ – التعليم الدينى :**

حرص الإستعمار على جمود هذا التعليم وركوده وعزله عن أحداث العصر وتطوراته بحجة الحفاظ على قداسة الدين وعدم المساس به ، وظل التعليم الدينى كما كان عليه من قبل جمود فى المادة العلمية وانفصال عن علوم الدنيا وتخلف فى طريقة التدريس والمنهج وأهمال فى التنظيم والإدارة .

ولقد ذكر الإمام محمد عبده أن السبب الأساسى فى الخذلان والضعف هو قصور التعليم الدينى ، إما بإهماله تماما أو بالسلوك إليه من غير طرقه القويمة ، فجمهور العامة الذين أهمل فيهم التعليم الدينى لم يبق لهم من الدين إلا أسماء يذكرونها ، وإن كانت لهم عقائد فهى بعض بقايا الجبرية والمرجئة من نحو لا خيار للعبد فيما يفعله ، ولذا فلا يؤاخذ على ترك الفرائض واقتراف السيئات ، فليفعل الإنسان ما بدا له من موبقات وآثام . وأما الذين أصابوا قليلا من التعليم الدينى فمنهم من حصر همه فى معرفة أحكام الطهارة والنجاسة وفرائض الصلاة والصوم ، حتى لقد ظنوا أن الدين انحصر فيها ومنهم من زاد علم الفروع فى أبواب المعاملات ، واتخذه أداة للكسب ، وصنعة من الصنائعالعادية ، وأغلبهم من طلاب الإفتاء والقضاء ، ووظائف التدريس .

ليس إصلاح التعليم الدينى بادراج بعض الكتب الفقهية فى الجدول الدراسى مع بقاء التعليم على طرقه المعهودة فى المساجد ، فإن العلوم العلمية ما لم تبن على الإيمان الصادق لا تلبث أن تضمحل[٢] .

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام ، جـ ٢ ، ص١٤٨ ، ١٤٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص٥٠٩ ، ٥١٠ .

### ٣ – تعليم البنت :

وفيما يتصل بتعليم البنت فقد اتفق كل المصلحين والرواد على أن جهل المرأة يمثل سببا من أسباب الضعف والإنحطاط ، ولقد هاجم المستشرقون الإسلام كثيرا لهذا السبب ، فقد نسبوا إليه أنه هو السبب فى جهل المرأة وتخلفها .

وذكر الكواكبى أن ترك تعليم المرأة يمثل سببا من أسباب الإنحلال ، فترك المرأة جاهلة له أضرار بالغة تمتد إلى الأخلاق وإلى الأطفال ، ثم إن هذا مغاير لما عرف به أسلافنا من قبل حيث كان يوجد فى نسائنا كأم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – التى أخذنا عنها نصف علوم ديننا ، فضلا عن الألوف من العالمات والشاعرات .

وليس صحيحا ما يذهب إليه البعض من أن جهل المرأة أحفظ لعفتها ، فربما كانت العالمة أقدر على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة أجسر عليه من العالمة[1] .

وإلى مثل هذا ذهب الأفغانى ومحمد عبده وعلى مبارك وغيرهم ، لقد أدركوا أهمية الدور الذى تقوم به المرأة وخاصة فى تربية النشىء ، ودعوا إلى أعدادها لهذا الدور بالتربية الحسنة .

والحقيقة أنه منذ وفاة محمد على لم يبد أى اتجاه نحو تعليم البنت والنهوض بها ، فالوالى عباس كان خصيما لكل نهضة ، ولم يكن ممكننا أن يفتح مدرسة للبنات وهو يغلق كل يوم مدرسة للبنين ، وكذا كان الحال أيام سعيد وإن كان أوسع صدرا من سالفه .

ولقد حاول الخديو إسماعيل أن ينهض بتعليم المرأة فكون فى ٢١ مارس عام ١٨٦٧ م لجنة كلها مصريون برئاسة « مرشير بك » ناظر المدرسة الحربية للنظر فى شأن مدارس جديدة للبنات ، وتقرر أنشاء مدرسة تتسع لخمسمائة فتاة على أن تقبل كل عام مائةفتاة ، غير أن المشروع تعطل لمدة عامين بسبب العجز المادى حتى أمر الخديو ببناء المدرسة من جيبه الخاص .

---

(١) محمد عماره ، الأعمال الكاملة للكواكبى ، ص٢٦٤ ، ٢٦٥ .

وقد وكل أمر تعليم المرأة إلى زوجاته ، فتقدمت الأميرة « جشمة آفت هانم » الزوجة الثالثة للخديو إسماعيل ، وتبرعت بمبلغ لشراء قصر قديم بالسيوفية ، وتم افتتاح المدرسة فى أول يناير عام ١٨٧٣ م .

وفى نفس العام أنشأ ديوان الأوقاف مدرسة أخرى « بالقربية » تتسع لمائة من التلميذات الداخليات ، وخمسين من التلميذات الخارجيات ، وكان الغرض منها أعداد التلميذات للخدمة المنزلية وهى أول مدرسة من نوعها فى مصر الحديثة ، وقد حاول الخديو إسماعيل أن ينشىء مدارس للبنات فى المدن الكبيرة وقد فكر فى مدينتى القاهرة والمنصورة على أن تكون مدرسة المنصورة مماثلة للمدرسة السيوفية ، أما مدرسة القاهرة فتكون لبنات الأشراف ، غير أن كل هذا ظل مجرد مشروع فقط .

وبعد إسماعيل حدثت ثورة عرابى ، ثم كان الأحتلال ومرت بمصر فترة من الزمن لا حياة فيها وقد شغل المصريون بأمر معاشهم ، وانصرفوا عن المثل العليا التى هزت عواطفهم ، حتى ظهر بعد ذلك بعض المصلحين الذين أخذوا على عاتقهم مسئولية الإصلاح والتجديد بكل ما تفرضه هذه المسئولية من جهد وعناء[1] .

وكان تعليم المرأة يشغل حيزاً كبيراً من اهتمامات هؤلاء المصلحين ونشاطهم ، وذلك ما سوف نقف عليه فى الفصل التالى .

---

(١) دربة شفيق ، إبراهيم عبده ، تطور النهضة النسائية فى مصر ، القاهرة : مكتبة الآداب بالجماميز ، ١٩٤٥ . م ، ص٤٥ – ٥٠ .

# الفصل السابع

## اتجاهات التجديد فى الفكر الإسلامى
## وصلتها بتربية المرأة المصرية

تحدثنا فيما مضى عن تخلف الفكر الإسلامى فى العصر العثمانى ، ثم ذكرنا كيف تم الإتصال بين الشرق والغرب ، مما كان له صداه فى ظهور حركة التجديد التى تهدف إلى تنقية الإسلام وتخليصه مما ليس منه ، بحيث يزاول دوره الطبيعى فى التوجيه والريادة وتحقيق السعادة للبشرية ، كذلك أيضا ذكرنا كيف أن تربية المرأة كانت من أهم الجوانب التى ينبغى أن يمتد إليها التجديد ليعمل على تطويرها ويعجل بتحقيقها لغاياتها ويحقق المكانة الكريمة التى أقرها الإسلام للمرأة .

وهنا وبعد أن توفرت الدواعى الكفيلة باحداث التجديد – سنحاول أن نقف على اتجاهات التجديد فى صلتها بتربية المرأة لنرى إلى أى مدى قد ارتبطت تربية المرأة المصرية إرتباطًا وثيقًا بهذا التجديد .

وإذا كانت هذه الإتجاهات التى سنعرض لها تختلف فى شكل الأسلوب فهى تتفق فى الغاية والهدف ، إذ هى تهدف إلى تخليص الإسلام من الشوائب والنهوض بالمجتمع ، وطبيعى ألا ينهض المجتمع أو يرقى إلا إذا عنى بتربية المرأة ، وأعدت إعدادًا حسنًا وتزودت بقدر من العلم يهيئها لأداء دورها الذى ينبغى أن تقوم به فى حياة الأسرة والمجتمع .

ورغم تكاثر الأحداث التى زخر بها النصف الثانى من القرن التاسع عشر فإننا نستطيع أن نتبين ثلاثة إتجاهات تضمها كلها مدرسة واحدة يمكن أن تسمى بمدرسة الأحياء أو السلفيين التى تبغى العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى الصافية .

وهذه الإتجاهات تشمل :

١ – إتجاه الأفغانى .

٢ – إتجاه محمد عبده .

٣ – إتجاه قاسم أمين .

وهى إتجاهات كلها تتفق فى أنها عنيت بقضية تربية المرأة من خلال العناية بالتجديد فى الفكر الإسلامى الذى أسفر عنه إتصال الشرق بالغرب .

## أولا : إتجاه جمال الدين الأفغانى : (١٨٣٩ م – ١٨٩٧ م) :

يهمنا فى الحديث عن إتجاه الأفغانى أن نمهد بفكرة موجزة عن عصره الذى عاشه لما لهذا العصر من صلة وثيقة بإتجاهه وبأفكاره التى جند نفسه لها .

### تمزق العالم الإسلامى وأثره فى نفسه :

ولد السيد جمال الدين الأفغانى فى « أسعد أباد » بالقرب من « كابل » بأفغانستان وكان ذلك فى عام ١٨٣٩ م وكان أبوه من صفدر – وهو أمى فقير ينتمى إلى الترمزى المحدث المشهور[١] .

بدأ حياته التعليمية فى سن الخامسة ، ولما بلغ الثامنة عشرة كان قد وقف على جميع العلوم الإسلامية وأجاد الكثير منها ، وقد منحه الله ذكاء حادًا وبصيرة نافذة ، وقلبًا صابًا ، وعرف بالإنفعال الشديد والمزاج الحاد والغضب السريع[٢] .

طوف فى العديد من البلاد ، فى فارس والهند والحجاز والآستانة وأقام بها فترة من الوقت ومن خلال تجواله وتطوافه فى البلاد الإسلامية رأى ما آل إليه أمر الشرق من ضعف وإنحطاط .

لقد فتح عينيه منذ الطفولة على ظلم الاستعمار ومساوئه ، إذ قبل ولادته بشهور كان الاستعمار قد اتخذ له قاعدة فى عدن عام ١٨٣٨ م ، وفى عام ١٨٤١ أمكن للإنجليز بمعونة العثمانيين أن ينزلوا بالشام ويوقعوا الهزيمة بالجيش المصرى وقائده إبراهيم باشا ابن محمد على ، وفى عام ١٨٤٨م تمكن الاستعمار الفرنسى من السيطرة على الجزائر ، وفى عام ١٨٦٠ م تمكنت الدسائس الإنجليزية والفرنسية من تحريك الطائفية بالشام

---

(١) تشارلز آدمز (ترجمة عباس محمود) الإسلام والتجديد فى مصر ، القاهرة : لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، ١٩٣٥ م ص٧ .

(٢) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة : النهضة المصرية ١٩٤٩ ، ص٦٢ .

مما أدى إلى إراقة الدماء أنهارا – وما أشبه الليلة بالبارحة – وفى عام ١٨٦٨ م استطاع الإنجليز أن يسيطروا على بلاد الأفغان فقد وقفوا مع الأمير « شير على » الموالى لبريطانيا ضد الزعيم الوطنى « على محمد خان » الذى كان يؤيده جمال الدين الأفغانى ، وعلى حدود الهند كانت الهند تعانى من وطأة النفوذ الإنجليزى ، وفى إيران توزع النفوذ ما بين الإنجليز جنوبا وروسيا شرقًا وشمالاً[١] .

وفى الوقت نفسه كانت الدولة العثمانية تترنح وكانت أشبه بالرجل المريض – على حد الوصف الاستعمارى – أما فى مصر فقد أخذ الاستعمار يتحسس طريقه إليها ويتسلل إلى داخلها عن طريق القروض الباهظة التى بلغت فى الفترة من عام ١٨٦٤ م إلى عام ١٨٧٥ م حوالى خمسة وتسعين مليونا ، فكانت هذه القروض هى الوسيلة التى لجأ إليها الاستعمار فى ايفاد بعثة « كيف » ،وتلا ذلك إنشاء نظام للمراقبة المالية واخضاع الخديوى لمشورتها ثم أنشىء صندوق الدين فى عام ١٨٧٦ م ، ثم أنشىء فى نفس العام نظام المراقبة الثنائية ، وتبع هذا إنشاء لجنة مختلطة لإدارة السكك الحديدية وميناء الإسكندرية ، وفى عام ١٨٧٨ م جاءت لجنة أوربية عليا لترعى مصالح الدائنين الأجانب ، ثم تطورت المراقبة الثنائية إلى وزارة مختلطة برياسة « نوبار باشا » وتتالت الأحداث لتصل فى النهاية إلى الاحتلال .

تلك كانت حقيقة العالم الإسلامى وصورته المؤلمة ، عاشها الأفغانى بقلبه وفكره فاهتز داخله وثارت حميته وغيرته على دينه ، فانبرى للنضال وانطلق للكفاح ، سلاحه بقلبه ولسانه ، وحصنه دينه الذى يستلهم منه صبره وصموده .

وبدأ الطريق بالوقوف على أسباب الضعف وعلل التدهور ، وحدد أهدافه فى هدفين ، أولهما هدف نظرى يتمثل فى بث الروح فى الشرق من أجل أن ينهض بثقافته وعلمه وتربيته ، وأن يصفى عقيدته مما لحقها من أوهام وخرافات ، وأن ينقى أخلاقه مما علاها من غبار الجمود والفتور ، وأن يأخذ فى استرداد عزته وكرامته ، وثانيهما عملى يتجسد فى مناهضة الاحتلال ومقاومته بكل الطرق فهو أس البلاء وسبب الكوارث[٢] .

---

(١) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة للأفغانى ، ص٢٣

(٢) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص١٠٧ .

والهدفان معا يشكلان حقيقة واحدة مؤداها أن الأفغانى أراد الإصلاح بالتجديد فى الفكر الإسلامى ، وباتخاذ الأسلوب الثورى القائم على العنف والقوة . فلم يكن يؤمن بالتدرج فى التغيير ، وإنما كان يتعجل التطوير ويأخذ بسياسة القفز فوق الأحداث موقنا بأن الإنسان هو الذى يغير التاريخ ويصنع الأحداث فهو سيد نفسه .

**الإطار الفكرى العام :**

فى ظل الهدفين السابقين حدد الأفغانى الأبعاد العامة لإطاره الفكرى بالآتى :

١ – الدين وحاجة الناس إليه .

٢ – مقومات الأمة السعيدة .

٣ – التربية والتعليم .

٤ – الجامعة الإسلامية .

**الدين والحاجة إليه :**

يذكر الأفغانى أن الدين هو دعامة كل إصلاح وأساس كل نهوض ورقى ، فالدين أساس المدنية والكفر فساد العمران ، ومن هذا المنطلق أخذ الأفغانى فى الرد على هؤلاء الماديين الدهريين الذين ينكرون الألوهية ويكفرون بالغيب ، ولا يعترفون إلا بالظاهر المحسوس ، وقد كان لنظرية « دارون » فى النشوء والارتقاء أثر واضح فى الحاد الكثيرين من أهل عصره وكفرهم ، لذا كان على الأفغانى أن يدحض هذه النظرية بالمنطق والبرهان فألف كتابه فى الرد على الدهريين ، وقد أوضح فى هذا الكتاب أن الدين يكسب عقول الناس ثلاث عقائد ويعطيهم ثلاث خصال كل منها ركن فى بناء الهيئة الاجتماعية وهذه العقائد هى :

١ – التصديق بأن الإنسان أشرف المخلوقات .

٢ – يقين كل ذى دين بأن أمته أشرف الأمم .

٣ – الاعتقاد التام بأن الإنسان خلق لعالم أفضل من هذا العالم .

ويوضح أن هذه الأسس التى أتت بها الأديان هى أساس العمران وعليها تتوقف سعادة الإنسان[١] .

أما الخصال التى يفيدها الدين فهى :

١ – خصلة الحياء ، إذ يلازمها شرف النفس وهو أساس المعاملة والنظام ورأس مال الثقة بالإنسان فى قوله وعمله ، وهى نفسها خصلة الآباء والغيرة ، وكل أمة فقدت الغيرة هى أمة ضعيفة مهما توفرت لها أسباب الرقى ، وخصلة الحياء هى أساس روابط المحبة بين الأفراد الجماعات ، وإذا ترك الحياء لا يبقى سوى الجهر بالفحشاء والمنافسة فى المنكر .

٢ – خصلة الأمانة ، وهى خصلة هامة لحياة المجتمع فمن الواضح أن الشعوب فى إنتظامها وسعادتها محتاجة للحكومة ، والحكومة فى أى صورها محتاجة إلى رجال يديرونها وصفة الأمانة ضرورية لهؤلاء الرجال ، فالأمانة دعامة بقاء الإنسان ومستقر أساس الحكومات .

٣ – خصلة الصدق ، فمع أن الإنسان قد منح الحواس الخمس إلا أنها ليست كافية لهدايته وإرشاده خاصة وأن حاجاته كثيرة ، فهو محتاج لمشورة غيره وخبرات من حوله ، وما لم يتوفر الصدق فيما حوله لعاش فى ضلال وتخبط ، فالصدق يمثل ركنا أساسيا للوجود الإنسانى وعمادا للبقاء الشخصى والنوعى ، ولا تتحقق ألفة مدنية أو منزلية إلا بدونه[٢] .

**مقومات الأمة السعيدة :**

يذكر الأفغانى أن الإسلام تميز على غيره من الأديان بالآتى :

١ – صقل العقول بالتوحيد وتخليصها من الأوهام والشرك فدعوة لا إله إلا الله هى دعوة التنزيه وعدم الإعتقاد فى غير الله .

٢ – منح الشرف للإنسان لذاته ، ومحق امتياز الأجناس وتفاضل الأصناف ، بحيث يكون معيار التفاضل بين الناس إنما هو العقل والفضيلة .

---

(١) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة للافغانى ، ص١٤١ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٥ وما بعدها .

٣ – رفض التقليد الأعمى والركون للجمود ، ولقد نعى القرآن الكريم عن الكفار هذا التقليد الأحمق فقال تعالى ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ » .

٤ – دعا الإسلام إلى تعليم سائر الأمة ذكورًا وإناثًا ، وقرر ضرورة وجود المعلم لأن النزوات النفسية ليس لها من ذاتها حد تقف عنده ، لذا كان من أهم الأركان الدينية فى الإسلام هاتان الفريضتان : نصب المعلم ليؤدى عمل التعليم ، إقامة المؤدب الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر .

وعلى هذه الأسس قام الإسلام ، وتفاوتت حال المسلمين ما بين الرقى والتخلف حسب تمسكهم بهذه الأسس أو تخليهم عنها[1] .

فالإسلام هو دين الرقى والتطور ، وليس صحيحا ما ذهب إليه الدهريون أو كما يسميهم الأفغانى « النيتشريون » ، فكل ما ذكروه إنما هو كذب وبهتان ، وعلى المسلمين مسئولية التمسك بدينهم ونبذ مثل هذه النظريات الفاسدة الهدامة .

وارتأى الأفغانى فى ضوء هذه الأسس ضرورة التجديد والإصلاح وقال : « أننا معشر المسلمين إذا لم يؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه ، ولا يمكن التخلص من وصمة إنحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق »[2] .

وهذا الإصلاح لابد أن يستهدف قلع ما رسخ فى عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الحقيقى ، وبعث القرآن ونشر تعاليمه الصحيحة بين الجمهور ويقرر الأفغانى أن أساس النهضة الأوربية إنما يرجع إلى تلك الحركة الدينية التى تزعمها « مارتن لوثر » ، فقد ثار هذا المصلح على كل التعاليم التى تجافى العقل وتعادى المنطق ، ومن أجل هذا هاجم الأفغانى هؤلاء الذين لا يريدون فتح باب الاجتهاد وتعجب منهم ، ما معنى أن باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأى نص سد ؟ هل قال أمام لا ينبغى بأحد من المسلمين بعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ؟ أو أن يهتدى بهدى القرآن وصحيح الحديث ؟ أو أن يستنتج بالقياس ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجيات الزمن وأحكامه ؟ ويقول : « لا أرتاب بأنه لو فسح فى أجل أبى

---

(١) المرجع السابق ، ص١٧٣ : ١٧٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص٣٢٧ .

حنيفه ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل وعاشوا إلى اليوم لداموا مجدين مجتهدين ، يستنبطون لكل قضية حكما من القرآن والحديث[١] .

التربية والتعليم :

يرى الأفغانى أن حياة الشرقيين إنما تكون بالعلم الصحيح ومن ثم دعا إلى العلم وحث على طلبه ، ولم يكن يجد أبدًا أى تعارض بين العلم والدين ، بل كان يجد العلم مؤديا للإيمان ، ومن ثم أهاب بالعقل أن يطرق كل الأبواب ، وأن يرتاد كل الميادين حتى ميدان الفضاء ، ولقد ذكر أنه ليس مستحيلا أن يجد الإنسان مطية يتوصل بها إلى القمر أو الأجرام الأخرى .

وقد وضع الأفغانى برنامجا للتعليم تمثل فى :

١ – اعداد الأطفال والصبية ، وذلك يكون بتربية المرأة واعدادها اعدادًا سليمًا لهذا الدور ، كما يكون بالإنصراف عن مدارس الحكومة والاتجاه للمكاتب الأهلية ليمكن أبعادهم عن سموم الفكر الاستعمارى ولبث الوطنية فى نفوسهم تلك الوطنية التى يحاربها الاستعمار أو من كان تحت سلطته .

٢ – الاهتمام بالرجال والكهول ، يجب أن تولى العناية للرجال والكهول ، ومن لم تتح له فرصة التعليم فيجب أن تفتح لهم النوادى الوطنية للاجتماع وأن يقوموا بالمحاضرات ويبصروا بطرق العمل للنهوض بالوطن عن طريق الخطب والمثال الحسن والتذكير والتحذير – وهذا ما يتردد اليوم فى أحد مظاهره تحت اسم التربية مدى الحياة .

٣ – المدارس الأهلية الوطنية ، يجب أن تكون دور علم وعمل ، كما يجب أن تكون بعيدة عن الزحام فسيحة الأرجاء ، متسقة البناء تربط بين العلم والعمل فما يتعلمه الطفل بفكره يحوله إلى عمل ، فيعمل بالحدادة والبناء وتربية الحيوان مثلا ، كل ذلك ليكون فيما بعد رجل علم وعمل[٢] .

---

(١) المرجع السابق : ص٣٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ – ٢٨٠ .

الجامعة الإسلامية :

كانت الغاية التى يرمى إليها جمال الدين ، والغرض الأول من جميع جهوده الدائبة ومن اثارته للنفوس – توحيد كلمة الإسلام ولم شمل المسلمين فى سائر أقطار العالم فى حوزة دولة واحدة تحت ظل الخليفة الأعظم لا يشاركه فى الحكم أحد وكان مثله الأعلى حكومة إسلامية واحدة تأتم بالإسلام وتعاليه ، يكون القرآن هديها وأساسها العدل والشورى ، واختيار خير الناس لتولى الأمور ، وكثيرًا ما كان يضرب المثل بالإمارات الجرمانية فى توحدها بعد تشتتها ويدعو إلى حلف بين الدول الإسلامية يتزعمه أكبرها وأقواها[١] .

وكان يؤلمه أشد الألم ما رآه من ضعف الأمم الإسلامية ، وكان يعتقد أنها لو نفضت عن نفسها كابوس الاحتلال الأجنبى –لصلح حالها ولأصبح المسلمون قادرين على تدبير أمورهم تدبيرًا حسنا[٢] .

وكانت وسيلته لتحقيق هذه الغاية هى الثورة السياسية ، فقد خيل إليه أنها أسرع الطرق وآكدها فى تحرير الشعوب الإسلامية وتغذيتها بالحرية الضرورية لتنظيم شئونها .

أما وسائل الإصلاح التدريجى فكان يرى أنها بطيئة وكان يريد أن يرى قبل موته تحقيق النتائج فكافح لقلب النظام القائم ، وكان يرى جواز خلع وقتل أمراء المسلمين الذين يشجعون الاعتداء الأوربى أو يرضون عنه ، فيقيمون بذلك الحوائل بين الناس وبين خلاصهم على ما يرجون[٣] .

ومع نبل شعار الجامعة الإسلامية الذى ارتبط باسم الأفغانى فإن السلطان عبد الحميد رأى فيه ستارا يخفى خلفه أطماعه فى الحكم والسيطرة ولينصب نفسه خليفة على العالم الإسلامى باعتباره حامى الدين ظل الله على الأرض .

والواقع أن فكرة الجامعة الإسلامية قد لقيت إستجابة كبيرة للأسباب الآتية :

١ – أن تنافس الدول الأوربية وتكالبها على احتلال العالم الإسلامى سواء كان فى الشرق أم فى أفريقيا – أوجب ضرورة الوحدة كى تكون ردءا دافعا للأخطار .

---

(١) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص٨٤ .

(٢) تشارلز آدمز ، الإسلام والتجديد فى مصر ، ص١٥

(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

٢ – ترابط العالم الإسلامى وسرعة الاتصال فيما بين أجزائه بفضل تقدم وسائل المواصلات وانتشار الصحافة .

٣ – ان تعاليم الأفغانى كانت قد إنتشرت فى ربوع العالم الإسلامى فازداد الشعور بأن الوقت قد حان لإقامة جامعة إسلامية وأن العدوان الغربى سيزيدها ارتباطا وتماسكا .

٤ – إن الاستعمار السياسى كان يسبقه دائما الاستعمار الاقتصادى فتدفق رؤس الأموال الأجنبية ومنح الامتيازات – قد أوقع العالم الإسلامى فى سلسلة من القروض والديون مما اضطر معه إلى إفساح المجال للتدخل السياسى .

أيا كان الأمر فقد كانت الجامعة الإسلامية هى الصورة المثلى للمجتمع الذى يريده الأفغانى ويعمل على تحقيقه .

## تربية المرأة فى رأى الأفغانى :

مع أن الأفغانى قد وجه جل نشاطه إلى المجال السياسى حيث كان عملى الطابع إلا أنه يغفل أيضا تلك القضية التى فرضت نفسها على مسرح الأحداث الاجتماعية وأملت على المفكرين ضرورة تناولها ، كل حسب ثقافته وفكره ، وإن كان الجميع قد جعلوا الدين مستقى فكرهم واتجاهاتهم فالعالم الإسلامى عالم متدين محافظ ، ويرفض دائما أن يدخل ضمن إطاره الثقافى ما ليس له سند من الدين ، ولذا كان من السهل أن يتهم أى مفكر بالإلحاد من قبل الجامدين الذين يخضعون للموروث من التقاليد دون اقتناع بضرورة التجديد .

أملت طبيعة الاتجاه الذى سلكه الأفغانى أن يكثر القول عن الأمور الدينية والسياسية كأسلوب للتجديد والإصلاح ، حتى لقد استأثر هذا بجل اهتمامه إن لم يكن كله . ورغم تكاثر الآراء وتشابكها ورغم اهتمامه العريض بهذه الأمور فهو لم يغفل أن يبدى رأيه فى أمر المرأة وتربيتها ، وما كان له أن يغفل هذا والصيحات المتعارضة فى أمر المرأة تحيط به ، بل تلاحق كل مفكر ومصلح يبغى التجديد والاصلاح ، ولقد صرح هو نفسه بذلك عندما ذكر أن القول قد كثر وطال فى موضوع المرأة . كذلك أيضا فإن الأسباب كانت قد تجمعت وأوجبت ضرورة احداث التغيير فى وضع المرأة عن طريق تربيتها وما سيترتب على هذه التربية من قضايا أخرى كالعمل والستور .

وأهمية رأى الأفغانى فى هـذه القضية أنـه يعيش فى مجتمـع شرقى يفلسف حياتـه ويصوغ قيمه وأهدافه ويوجه سلوكه باسم الدين .والدعوة لتربية المرأة والعناية بأمرها دعوة جديدة ليس سهلا أن تستوعبها روح المجتمع دون أن يبيحها الدين ويعترف بها .

على هذا فرغم وجازة رأى الأفغانى فى هذا الأمر فقد كان من الأهمية بمكان لأنه يصدر عن داعية دينى وزعيم إسلامى رائد .

وحين نحاول الوقوف على أبعاد هذا الرأى الذى أدلى به فإنه يمكن تحديدها فى الآتى :

١ – المرأة والمساواة .

٢ – المرأة والتعليم .

٣ – المرأة والعمل .

٤ – المرأة بين السفور والحجاب .

**المرأة والمساواة :**

يقـرر الأفغـانى أن مساواة المرأة بالرجـل مـن حيث التكويـن الجسمـانى مستحيلـة فللرجل تكوينه الخاص ، كما أن للمرأة أيضا تكوينها المميز وكلاهما يغاير الآخر . والأفغانى لا يرتب على هذا استحالة المساواة فى العقل ، ذلك أنه صرح فى أحد المجالس بأن المرأة تساوى الرجل فى التكوين العقلى ، إذ ليس للرجل رأس وللمرأة نصف رأس ، وإذا كان هناك من تفاوت بينهما فهذا يرجع إلى التربية ، حيث تيسر للرجل من الظروف ما لم يتيسر للمرأة ، فبينما أخذ الرجل يغشى كل مجال ويزاول كل عمل ظلت المرأة حبيسة الـدار[1] .

وهذا ما جعل المرأة غير متساوية مع الرجل .

---

(١) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص١١٤ .

المرأة والتعليم :

يدعو الأفغانى إلى تعليم المرأة حتى تنير عقلها بالمعارف والفنون ويرى أن تعليمها يصلح أمر دينها ويعدها لوظيفتها ويهيئها لأداء رسالتها والقيام بدورها فى الحياة ، غير أنه لا يقر أن تتعلم كل المعارف فهو لا يرى حاجة فى أن تتعلم الطب والهندسة وغيرهما من العلوم التى لا تناسب طبيعتها ولا تتفق وتكوينها ، فهو يدعو لتعليمها ولكن لنوع معين من التعليم يناسبها .

المرأة والعمل :

إذا كان الأفغانى قد ربط التعليم بطبيعة المرأة فاستبعد العلوم التى لا تلائم هذه الطبيعة – فذلك لأنه يرى أن عمل الرجل يختلف عن عمل المرأة ، وأن الله تعالى عندما غاير بين الرجل والمرأة فذلك لأن المجتمع يقوم على محورين : الرجل والمرأة ، وتقتضى ضرورة الحياة أن يكون هناك تنوع فى العمل وتعدد فى مجالاته ، ولما كانت المرأة بحكم تكوينها البدنى تغاير الرجل فإن وظيفتها كانت بالضرورة مغايرة لوظيفته ، وظيفة الرجل فى السعى والكسب ، ووظيفة المرأة فى الأسرة واعداد النشىء ، ولا مانع أبدًا أن تتساوى المرأة مع الرجل فى تكوينه العقلى ، لكن الحياة ليست فكرا فقط بل هى فكر وعمل ، والرجل أقوى على العمل من المرأة ، وبسبب ذلك كانت قوامته .

فتداخل الوظائف بنزول المرأة إلى ميدان العمل يؤدى إلى الإخلال بمجال الأسرة فمن يدير مملكة البيت ومن يربى الطفل ويبث فيه روح الشجاعة والفضيلة ؟[1] .

ويرفض الأفغانى ما ذهب إليه البعض من القول بالمساواة التامة ، ولا يقبل ما أبدوا به رأيهم من أمثلة كركوب السيدة عائشة للجمل ومرافقة نساء الأصحاب للجيوش ، ويرى فى هذه الأمثلة حالات استثنائية ولا يصح أن تتخذ مساغا لمبارحة المرأة دارها ، وكان يقول ان المساواة التامة فيها نقض لحكمة الوجود وطبيعة الحياة[2] .

(١) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة للأفغانى ، ص٥٢٤ – ٥٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص٥٢٦ وما بعدها .

المرأة بين السفور والحجاب :

هنا تغلب على الأفغانى نزعة التحفظ فهو يقرر أنه لا مانع من السفور شريطة ألا يتخذ مطية للفجور ، وهو يميل للأخذ بالحجاب ، لأن السفور غالبا ما يقترن بالخلاعات واستهوان الفجور وعدم المبالاة بالرقابة العامة .

بهذا بين الأفغانى رأيه فى المرأة وتربيتها وما يرتبط بالتربية من عمل وسفور أو حجاب ، وهو رأى لا نقول عنه إنه جرىء تحررى إذ يغلب عليه طابع التحفظ والميل للأخذ بالروح الشرقية ، ولكنه رأى يتيح لغيره أن يجد منه منطلقا لرأى أكثر تحررا وجرأة ، وهذا ما فعله الإمام محمد عبده عندما تصدى بجرأة وصراحة لموضوع المرأة من حيث وضعها فى الأسرة فنادى بعدم التعدد فى الزوجات ، ومن حيث تعليمها فدعا إلى ضرورة تعليمها وإن كان كل منهما قد استوحى فكره واهتدى إلى رأيه حسب اجتهاده وتأوله فى الدين وحسب طبيعة الأسلوب الذى ارتضاه كل منهما فى الإصلاح لنفسه ثم حسب الواقع الإجتماعى المتطور ومدى تأثر كل منهما به .

على أن أبرز أثر للأفغانى أنه نفخ فى تلاميذه – صفوة الأمة وخيرة رجالها – روح من الحماسة والوطنية بهدف إنقاذ المجتمع الإسلامى من هوة التخلف والوقوف على علل هذا التخلف وفى مقدمتها جهل المرأة وإهمال تربيتها .

وللحقيقة فإن نشاط الأفغانى لم يكن ليثمر لولا أن التربة المصرية كانت قد احتضنت بذور التجديد التى صاحبت إتصال الشرق بالغرب .

## ثانيا : الإمام محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥م)

سبق أن تحدثنا عن الدور الرائد الذى قام به الأفغانى فى تجديد الفكر الإسلامى وهنا سنعرض للدور العظيم الذى قام به الإمام محمد عبده – تلميذ الأفغانى وصديقه – فى تجديد الفكر الإسلامى وأثر هذا فى الدعوة لتربية المرأة .

وإذا كان الطهطاوى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر قد جاء بزاد جديد واتجاهات حديثة من الغرب بهدف الإصلاح – فإن الإمام محمد عبده قد جاء ليقول إن هذا النهوض مستحيل ما لم يعاد النظر فى مفاهيمنا عن الدين ، حتى تعود به من

طريقه السائر فيه إلى حيث يجب أن يسير هاديا بالحق والحرية والعدل والخير والجمال[١] .

وحديثنا هنا سيتناول الجوانب الآتية :

١ – بيئته وأثرها فى إتجاهه .

٢ – مصادر ثقافته .

٣ – إتجاهه فى التجديد .

**بيئته وأثرها فى إتجاهه :**

ولد الأستاذ الإمام فى سنة ١٨٤٩م بمحصة شبشير من قوى اقليم الغربية ، لكنه نشأ فى قوية « محلة نصر » من قرى مركز شبراخيت باقليم البحيرة حيث نشأ والده ونشأت أسرته ، وهذه القرية التى نشأ فيها الإمام – رغم صغرها – كانت موصولة التاريخ القطر كله وهى ذات كيان إجتماعى تتمثل فيه أحداث العهود فقد عاشت فى ظل الإقطاع ، وعانت الكثير من تقلبات السياسة واعتقل بعض أفرادها فى عهد عباس الأول ، وفتك بها الطاعون[٢] .

وقد كان لهذا أثره فى شخصية الإمام وتكوينه النفسى والفكرى .

نشأ الإمام محمد عبده نشأة صبيان القرى الصغيرة فعرف السباحة والفروسية ولعب السلاح وأحب الحياة الريفية ، ومعظم ما تميز به من صفات فى رجولته وخاصة وقاره وتحفظه يرجع إلى تلك النشأة الريفية . وأدراكه لحاجات العامة ، ورغبته الشديدة فى النهوض بالأمة ، كل ذلك يرجع هذه البيئة الريفية ، فكثيرا ما كان يسمح أحاديث الناس عن مساوىء حكم محمد على ، مما كان يبعث فى نفسه الرغبة الملحة فى الإصلاح والنهوض[٣] .

ويبدو أن أباه كان على جانب من اليسر بحيث كان يعد من أوساط الناس ، وقد عنى أبوه بتعليمه فاستقدم له معلما يعلمه القراءة والكتابة ، ولما بلغ سن العاشرة من عمره

---

(١) سعد مرسى أحمد ، تطور الفكر التربوى ، ط ٣ ، القاهرة : عالم الكتب ١٩٧٥م ص٤٦٣ – ٤٦٤

(٢) عباس العقاد ، محمد عبده ، وزارة التربية والتعليم ١٩٦٣م ، ص٧٥ – ٧٧

(٣) تشارلز آدمس ، الإسلام والتجديد ، ص٢١ .

أرسله أبوه إلى دار حافظ للقرآن فقرأ عليه وحده جميع القرآن ، وتم له حفظه عن ظهر قلب فى مدة سنتين ، وكان هذا أول خطوات التعليم الذى كان ميسورا لصبيان الأسر الشبيهة لأسرة محمد عبده حيث كان فى مقدوره أن يصبح شيخًا أو عالمًا بفروع العلوم الدينية الإسلامية أو فقيها ، أما المدارس التى أنشأتها الحكومة على نمط المدارس الأوربية فكانت محرمة على مثل هذه الأسر[١] .

وعندما بلغ سن الثالثة عشرة من عمره إنتقل إلى الجامع الأحمدى بطنطا عام ١٨٦٢م ليحسن حفظ القرآن وتجويده ، وكان له أخ يدرس فى هذا الجامع وكان ذا حظ عظيم من الشهرة ، وبعد مضى عامين أخذ يتلقى قواعد العربية ، وكان عليه أن يواجه العديد من الصعاب فى تلقيه لهذه القواعد فهى غاية فى العقم ، وطريقة التدريس قائمة على الحفظ والإستظهار ، وكان عليه أن يحفظ نصا من الأجرومية وشرحا عليه تضمنهما كتاب « الكفراوى على الأجرومية » ، وأول درس صادفه فى هذا الكتاب هو إعراب بسم الله الرحمن الرحيم « الباء حرف جر ، واسم مجرور بالباء وعلامة جره كسرة ظاهرة فى آخره والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أؤلف ... إلى آخره » .

وقد ظل على هذا النوع من التعليم عاما ونصف عام وهو يحاول الفهم لكنه لا يفهم ، وقد ترسب ذلك فى نفسه مما كان له أبلغ الأثر فى دعوته الإصلاحية لحال الأزهر[٢] .

لذا هرب الشيخ محمد عبده من الدروس واختفى عند بعض أخواله مدة ثلاثة أشهر ، ثم عثر عليه أخوه وأراد أكراهه على طلب العلم ، لكنه أصر على أن يتجه للزراعة كسائر أهله فرجع إلى قريته وتزوج عام ١٨٦٥م وهو فى السادسة عشرة من عمره .

على أن والده بعد مرور أربعين يوما من زواجه أكرهه على الرجوع لطنطا من أجل تلقى العلم ، وبينما هو سائر فى الطريق مع مرافقه انطلق هاربا واختفى عند بعض أقاربه فى « كنيسة أورين » ومكث خمسة عشر يوما تغيرت فيها حالته وتحولت فيها نفسه .

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٢ .

(٢) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص٢٨٢ .

مصادره الثقافية :

وقد تمثلت هذه المصادر الثقافية التى شكلت فكره فيما بعد فى الآتى :

١ – الشيخ درويش الصوفى .

٢ – الدراسة الأزهرية .

٣ – صلته بالشيخ جمال الدين الأفغانى .

## الشيخ درويش الصوفى :

هو أحد أخوال أبيه وقد كانت له أسفار عديدة ووصل فى أسفاره إلى طرابلس الغرب وتلقى شيئا من العلم على يد السيد محمد المدنى ، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية ، وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ، كما كان يجيد حفظ القرآن وفهمه ، وعندما رجع من أسفاره إشتغل بما يشتغل به الناس من الزراعة .

وفى صبيحة الليلة التى باتها الإمام فى الكنيسة جاءه الشيخ درويش بكتاب وطلب منه أن يقرأه له لضعف بصره ، وكان الكتاب من تأليف السيد محمد المدنى لبعض مريديه ، ولكن الإمام دفع الطلب بشدة ولعن القراءة والمشتغلين بها وألقى بالكتاب ،لكن الشيخ مازال به حتى قرأ له بعض أسطر ثم قال الشيخ بشرحها وتفسيرها وظل الشيخ يلح عليه بين الحين والآخر حتى وجد محمد عبده من نفسه رغبة فى قراءة الكتاب كله ، وكان يضع علامة على مالا يفهمه ، وقد ظهر عليه الفرح لما بدأ له من معانى هذا الكتاب وأسراره الصوفية .

وفى اليوم السابع سأل الإمام محمد عبده الشيخ درويش ما هى طريقتكم ؟ ويجيبه الشيخ طريقتنا الإسلام ، ويتساءل الإمام : أو ليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ؟ ويرد الشيخ لو كانوا معلمين لما تنازعوا على التافه من الأمر ولما حلفوا بالله كاذبين . ويقول الإمام « إن هذه الكلمات كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندى من المتاع القديم .. متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون[1] .

---

(١) عباس العقاد ، محمد عبده ، ص٩٨ .

ولقد سأله عن الورد فأجاب الشيخ لا ورد إلا القرآن ، وأشار عليه أن يقرأ بعد كل صلاة أربعة أرباع مع الفهم والتدبر ، وأخذ الإمام بهذا القول فأحس بعد مضى أيام بأنه إنتقل إلى عالم آخر أكبر وأوسع من هذا العالم ، وأحس بزوال الهموم كلها إلا هم واحد هو أن يكون كامل المعرفة ، كامل أدب النفس ، ولم يكن له من مرشد إلا ذلك الشيخ الذى غير أمره فى أيام وأخرجه من قيود التقليد إلى اطلاق التوحيد[١] .

وكان الشيخ درويش متأثرا بتعاليم السنوسية التى تتفق مع الوهابية فى الدعوة إلى الرجوع للإسلام فى بساطته الأولى وتنقيته من البدع[٢] .

**الدراسة الأزهرية :**

قضى الإمام محمد عبده أسبوعين بصحبة الشيخ درويش يستمع إلى نصحه وإرشاده وبعدهما عاد إلى معهده بطنطا فى أكتوبر عام ١٨٦٥م ، وكان صافى النفس يحس برغبة قوية فى المعرفة والدراسة وبدأ يدرس النحو فقرأ الكتاب الثانى للشيخ خالد على الأجرومية وفاق أقرانه حتى أنهم أخذوا يلتفون حوله ليشرح لهم ما غمض ، ثم تحول من الجامع الأحمدى إلى الأزهر باعتباره المثل الأعلى للعلوم الدينية ، وقد مكث به من ١٨٦٦م إلى ١٨٧٧م ، وقد صدمته تلك الصورة التى وجدها للأزهر فالروح التقليدية وعدم التشجيع على البحث والنقد تنساب فى كل العلوم ، فالعلوم النقلية كعلم الكلام والتفسير وغيرهما تستند إلى الوحى الإلهى ويجب التسليم بها وعدم الخوض فيها ، والعلوم العقلية كالنحو والصرف وعلم الهيئة تسمى علوم الوسائل ، أما العلوم الأخرى كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات فهى علوم ثانوية[٣] .

وكان يزوره الشيخ درويش بين الحين والآخر ويستحثه على دراسة المنطق والرياضيات والهندسة ، وقد أعانه فى تحصيلها الشيخ محمد البسيونى أحد العلماء فى ذلك العهد ، كما قرأ المنطق والفلسفة على الشيخ حسن الطويل الذى كان يدرس بدار العلوم ، ولأن الإمام كان قد تذوق التصوف لذا فقد أخذه الإستغراق فيه ، ولما زاره الشيخ درويش

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٢) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص٢٨٤ .
(٣) تشارلز آدمس ، الإسلام والتجديد فى مصر ، ص٢٨ .

بمصر عام ١٨٧١م وجد الشيخ درويش أنه لابد من أن يعيده للحياة العادية . فأخذ ينتقل به إلى المجالس ويشركه فى الحديث حتى أعاده إلى عالم الواقع مرة أخرى[١] .

**صلته بالسيد جمال الدين الأفغانى :**

وفد السيد جمال الدين الأفغانى على مصر عام ١٨٧١م ، ومكث بها حتى عام ١٨٧٩م ، وكانت السنوات الثمانى التى قضاها بمصر أخصب أيامه وأنفعها حيث كانت التربة المصرية قد تهيأت لإحتضان بذور إصلاحه وتعهدها بالرى والنماء .

لقد طوف الأفغانى فى بلاد كثيرة لكن لم تقدر لدعوته النجاح والإنتشار حيث أفتقدت دعوته الجو الملائم لها ، فجاء الأفغانى إلى مصر ومحمد عبده زاهد فى الحياة منعزل عن الناس لا دخل له بالواقع الذى يموج بالحركة حوله ، وكان هذا تصوره لمعنى التصوف ، وقد ذكرنا كيف حاول الشيخ درويش أن يعود به إلى الحياة العادية على أنه قد أفاد من هذا التصوف وعرف فيه صفاء الروح وشفافية النفس .

وكان التحول الحقيقى الذى تم فى حياة محمد عبده وعلى يد الأفغانى هو الإنتقال من الفكر والنظر المجرد إلى الواقع والتطبيق والرغبة فى الإصلاح الدينى والإجتماعى ، لقد نفخ فيه الأفغانى روحا جديدة ، لقد علمه كيف يربط جزئيات الحياة العلمية والعملية معا برباط واحد ، علمه كيف تكون الصلة بين التصوف والفلسفة والحياة العامة وعلمه كيف يرتفع على مستوى الكتاب يسيطر عليه ولا يتعبد به[٢] .

لم تكن الكتب التى قرأها عليه محمد عبده ذات قيمة فى نفسها ذلك أن العبرة ليست بالكتاب بل بشارحه ، وما يستطيع أن يبثه من تعاليم ومبادىء خلال الشرح ، اتصلاً سويًا فى مصر وفى المنفى وتحابا كأقوى ما يكون الحب بين الأستاذ وتلميذه ، والصديق وصديقه ، وسارا معا فى طريق الكفاح يحملان سلاح القلم دفاعًا ونقدًا وإصلاحًا جمع بينهما إتفاق المشرب فكلاهما عاش التصوف وعرف معنى الشفافية والتسامى مما جمع بينهما فى الاباء والسمو والرفعة ، ولقد قال محمد عبده منوها بفضل الأفغانى فى حياته « إن أبى وهبنى حياة يشاركنى فيها على ومحروس ، والسيد جمال الدين وهبنى حياة أشارك فيها محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والأولياءوالقديسين .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣١ .

(٢) أحمد أمين ، زعماءالإصلاح ، ص٦٦ .

**إتجاهه فى التجديد :**

مع أن الإمام محمد عبده قد التقى بالزعيم الأفغانى فى الغاية التى ينشدها كل منهما بنشاطه – إلا أنهما اختلفا فى الوسيلة ، أما الغاية فقد تمثلت فى إحياء أمة إسلامية قوية قادرة على الدفاع عن نفسها آخذة بسنن التطور ، وأما الوسيلة فقد إختلفت وفقا لإختلاف المزاج والظروف ، فالأفغانى لأنه كان حاد الطبع عصبى المزاج فقد أثرت فيه ظروف النفى وكثرة التنقل مما جعله يتعجل الإصلاح ويرى أنه لا يتم إلا بطفرة واحدة ووثبة سياسية عنيفة – من هنا أخذ يدعو للجامعة الإسلامية وكان يأمل فى السلطان عبد الحميد خيرا ويتمنى أن يكون الخليفة القادر على الإصلاح والتجديد ولم يكن يكل أبدا أو ييأس حتى بعد فشل الثورة العرابية ، فلقد قال للإمام محمد عبده عندما رأى فيه التراخى « إنما أنت مثبط » كان يتعجل الظروف دائما وكان ينتهج طريق السياسة تحقق له غرضه ولعل هذه الوسيلة هى التى ظلت مسيطرة على فكر الكثيرين من القادة والزعماء فكل الحركات الوطنية كانت ذات صبغة سياسية .

أما الإمام محمد عبده فقد كان هادىء الطبع ، رقيق الخلق ، وكان يرى أن النهوض بالأمة إنما يكون بسلوك السبيل التى ترفع الأفراد فيجب أن تغير العادات بالتدريج ، وأن يبدأ بالأسهل الأبسط ، وأهم واجبات الأمة هو تهذيب الأخلاق والعمل على سمو التفكير ، وبغير هذا يتعذر الإصلاح ، وهذا يتطلب زمنًا طويلاً ، وأول خطوة على سبيل الإصلاح هو إصلاح التعليم[1] .

ومن هنا فإن برنامج الإصلاح الذى إرتضاه محمد عبده كان يتمثل فى :

١ – نشر التعليم بين أفراد الشعب وتبصير الشعب بحقوقه وواجباته .
٢ – إستخدام الصحافة إستخدامًا قويًا فى محاربة المفاسد وتنبيه الوعى القومى .
٣ – الإجتهاد فى أن يكون رئيس الحكومة حازمًا وعادلاً .
٤ – التدرج فى الحكم النيابى بالتوسع فى السلطة تبعا لنمو الوعى القومى[2] .

وهنا سنحاول أن نقف على مظهرين لإتجاهه فى التجديد وهما :

---

(١) تشارلز آدمس ، الإسلام والتجديد ، ص٤٧ .
(٢) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ،ص٢٩٨ .

١ – الإصلاح الدينى .

٢ – الإصلاح الإجتماعى .

ومما تجب ملاحظته أن التحديد بهذين المظهرين لا يعنى ضرورة الفصل بينهما بل هما يمثلان كلاً واحدًا ويعكسان طبيعة الإسلام المتكاملة ، فالإسلام ليس دينا فقط أو دنيا وحدها بل هما معا ، لأن الطبيعة الإنسانية طبيعة مزدوجة التركيب ، روح وجسد ، فكر وعمل ، ومن ثَم فالحديث عن الإصلاح الدينى لا يعنى أبدا مجرد عرض لآراء نظرية مجردة بل يعنى فى المقام الأول الأثر القوى لها فى الواقع والسلوك والعناية بالمبادىء وتطهيرها من الشوائب هى الخطوة الأولى فى السلوك السليم والتطور الحقيقى فالإصلاح الدينى هو دعامة كل إصلاح وأساس كل تجديد ، إذ لا يمكن إصلاح المجتمع وتطويره ما لم يسبقه أولا إصلاح العقيدة وتخليصها مما علق بها من خرافات وأغلاط ، وهو إصلاح يناسب روح الإسلام فالإسلام قبل أن يصنع الحياة ويبنى الحضارة أهتم بإصلاح النفس وتصحيح العقيدة ،فالحديث عن الإصلاح الدينى يعنى تجديد الفكر الإسلامى فى مجال العقيدة ليكون دعامة ترتكز إليها الدعوة لتربية المرأة فى مجال السلوك والتطبيق .

وعملية الإصلاح الدينى هذه لم تكن أمرا هينا إذا ما نظر إليها فى ضوء الظروف السياسية والإجتماعية التى كان يعيشها العالم الإسلامى ، فقد كثرت العيوب وتعددت العلل بشكل يبعث على الأسى والألم ، ولم يكن من مندوحة إلا العودة إلى الإسلام الصحيح بإستعادة أصوله وتفهم حقيقته وجوهره حتى يمكن حمل جماهير الناس على قبول الدين الخالص وإتباع أحكامهبأخلاص .

## الإصلاح الدينى :

مما تجدر الإشارة إليه أن الهدف هنا ليس هو التناول التفصيلى لكل المسائل الدينية التى عرض لها الإمام محمد عبده ، بل إن الهدف هو الوقوف على الملامح العامة لهذا الإصلاح .

ويمكن القول بأن الإمام قد تناول فى نطاق هذا الإصلاح الأمور التالية :

١ – الإيمان بالله وما يتصل به من الوحى والنبوة .

٢ – الإنسان بين الجبر والإختيار .

٣ – القرآن والعلم الحديث .

٤ – حقيقة العبادة .

٥ – الدعوة إلى الإجتهاد فى الفقه .

## الإيمان بالله وما يتصل به من الوحى والنبوة :

إن قضية الإيمان بالله قديمة قدم الإنسان ذاته فقد خلق الإنسان دينيا بالطبع ، وليس ثمة قضية فى تاريخ الإنسان تضاربت فيها الآراء وتصارعت فيها المذاهب مثل هذه القضية ، فهى أساس الوجود الإنسانى ، ومن الناس من بالغ فى تقديس العقل فألحد ومن الناس من بالغ فى التسليم والإذعان فجمد وتوقف ، والإسلام كان الرؤية الحقيقية للإيمان فى صورته البسيطة بعيدا عن فلسفات المتكلمين وأصحاب التأويل وبعيدا أيضا عن حرفية أهل النقل وتمسكهم بالظاهر .

ولقد خص الإمام هذا الموضوع بكتابه « رسالة التوحيد » يبين فيه عن الإيمان فى شكله البسيط فيذكر أن العقل لابد أن يسلم بوجود الخالق لما يراه المرء فى هذا الكون من نظام وترتيب وترابط بين الأسباب والمسببات بالشكل الذى لا يدع مجالا للصدفة[1] .

والنظر إلى الكون والتأمل فيه يؤكد ما وصف الله تعالى به نفسه من العلم والقدرة والسمع والبصر .

ويدلل على وحدانية الله تعالى فيذكر أن الآلهة لو تعددت لتضاربت أفعالهم لتضارب علومهم وإرادتهم فيفسد نظام الكون بل يستحيل أن يكون له نظام ، وهذا ما يوضحه قول الله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[2] .

وفعل الله تعالى صادر عن اختيار القائم على علمه وإرادته وقدرته ، وليس من أفعاله ما يصدر عنه بالعلمية المحضة دون شعور أو إرادة ، فالكمال فى الكون إنما هو تابع لكمال الكون[3] .

---

(١) محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ط ٥ ، مصر : دار المنار ١٣٧٢هـ ، ص٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص٤٢ ، ٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص٤٠ .

ويصور العقيدة تصويرًا بسيطًا بقوله « فالذى يوجبه علينا الإيمان هو أن نعلم أنه موجود لا يشبه الكائنات أزلى أبدى ، حى عالم ، مريد قادر ، منفرد فى وجوب وجوده ، وفى كمال صفاته ، وفى صنع خلقه ، وأنه متكلم سميع بصير ، وما يتبع ذلك من الصفات التى جاء الشرع بإطلاق أسمائها عليه »[١] .

أما الإيمان بالرسل والأنبياء فهو أساس الدين المنزل الذى تشترك فيه الأديان كلها وهو يرى أن الحاجة إلى الرسل ضرورية لسببين أولهما نفسى ، وثانيهما إجتماعى . ذلك لأن الإنسان يعتقد بحياة أخرى بعد الموت يجهلها ولا يستطيع أن يقف على معالمها بعقله مما يدفعه إلى الحيرة والتخبط ، من هنا كان لابد من الرسل التى تبعث الإطمئنان فى النفس وتوجه الخطا . ولأن الناس يختلفون فى المذاهب والأهواء مما يدفعهم إلى التناقض والصراع من هنا اقتضت رحمة الله تعالى أن يرسل إليهم الرسل داعين إلى المحبة .

ويذكر أن البشرية تمر كالإنسان بثلاث مراحل مرحلة الطفولة وهى التى تخضع فيها البشرية لرغباتها الطبيعية ، ومرحلة الشباب وهى التى تعرف فيها قدرا من الخبرات والمعارف ، ومرحلة الرجولة وهى التى تستعد فيها لقبول دعوة النبوة وهداية الرسالة[٢] .

أما الوحى فيعرفه شرعا بأنه كلام الله المنزل على رسوله ، ويذكر أن وقوع الخطأ من الأنبياء فى غير التشريع يجيزه البعض والجمهور على خلافه .

وإذا كان لهذا من صلة بتربية المرأة فإن الصلة تتضح فى أن تربية المرأة يجب أن تهدف إلى تخليص العقيدة من الشوائب والخرافات بحيث تقصد المرأة وجه الله وحده فلا تذعن للخرافة والشعوذة أو تستسلم للأباطيل وأمور السحر ولا تخضع لغير تعاليم الله .

وهذا يتطلب تزويدها بقدر من العلوم الدينية التى تقف بها على حقيقة الإسلام ونبل جوهره ، بمثل هذا الأمر تكون الدعامة الأولى لتربية المرأة ، فنقاء العقيدة هو أساس كل معرفة تكتسب بعد ذلك من خلال التربية .

---

(١) المرجع السابق ،ص٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص٨٣ – ١٦٩ .

**الإنسان بين الجبر والإختيار :**

لأن الإنسان هو خليفة الله فى أرضه لذا كانت نظرة الإمام محمد عبده له مرتبطة بالدين ، فالإنسان يتكون من : « الحواس التى يدرك بها ما يحتاج إليه فى حفظ نفسه وتوفير منافعها ،ومن العقل الذى يميز به بين الحق والباطل والنافع والضار ، ومن الوجدان ليدرك ما يحدث فى النفس من ميول ورغبات ، ويرى أن الإنسان يحتاج إلى العقل والوجدان معا فكلاهما يعين الآخر ، فالعلم الصحيح مقوم للوجدان والوجدان السليم من أشد أعوان العلم ، والدين الكامل علم وذوق ، عقل وقلب ، برهان وإذعان ، ولن يتخالف العقل والوجدان حتى يكون الإنسان الواحد إنسانين ، ويرى إلا تعارض بين العقل والوجدان » قد يدرك عقلك الضرر فى عمل ولكنك تعمله طوعا لوجدانك وربما أيقنت المنفعة فى أمر وأعرضت عنه إجابة لدافع من سريرتك فتقول إن هذا يدل على تخالف العقل والوجدان ، ولكنى أقول ... إما أن يقينك ليس بيقين ، وأنه صورة عرضت عليك من قول غيرك ... وإما أن وجداتك وهم تمكن فيك ، وعادة رسخت فى مكان القوة منك[1] .

وصلة هذا بتربية المرأة أن التربية يجب أن تثير فى المرأة روح الثورة على الظلم والتخلف الذى عانت منه كثيرا باسم القدر والرضى بالنصيب ، فيجب على المرأة أن توقن بأنها مخيرة وليست مسيرة ، وأنها مسئولة تماما كالرجل ، وأنها تتساوى معه فى الجزاء أمام المولى سبحانه فقد منحها الله تعالى العقل وأعطاها الحرية لتقرر مصيرها ولتسأل عن عملها ، فلها الحق فى أن تغير من حياتها وأن تناهض كل ظلم تتعرض له وأن ترفع عن نفسها أغلال التخلف والجمود وأن تنطلق فى الحياة تؤدى رسالتها التى ارتضاها لها الإسلام .

إذًا فإن التربية إذا كانت تهدف إلى التطور وإذا كانت هى وسيلة التقدم – فعليها أن تتخذ من هذا المبدأ : مبدأ الإختيار وحرية المرأة فى فعلها هدفا لها وغاية تسعى إلى بلوغها .

ولقد أوضح الإمام محمد عبده هذا فى تفسيره لقوله تعالى ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم﴾ (سورة آل عمران الآية ١٩٥) . يذكر الإمام إن الأمم كانت

---

(١) محمد عبده ، الإسلام والنصرانية ، ط ٦ ، القاهرة : نهضة مصر ١٣٧٥هـ ص١٣٨ .

تهضم المرأة حقها وتعاملها كالحيوان ، وبعض الأديان فضلت الرجل على المرأة لذات النوع وبعض الناس زعموا أن المرأة لا روح لها ، حتى جاء الإسلام فقرر المساواة بين الرجل والمرأة ، وإذا احتج الأفرنج علينا بالتقصير فى تعليم المرأة وتربيتها فنحن نعترف بأننا مقصرون ، تاركون لهداية ديننا حتى صرنا حجة عليه .

ويؤكد محمد عبده مسئولية الإنسان واختياره فهو مخير وليس بمسير ، ولو كان فعل العبد ليس له لبطل تكليفه ، فالعقل والشرع والحس والوجدان كلها تتضافر على أن فعل العبد له ، وواجب كل مسلم أن يعتقد بأن الله تعالى خالق كل شىء على النحو الذى يعلمه وأن يقر بنسبة عمله إليه وأن يعمل بما أمر به ، ويجتنب ما نهى عنه باستعمال ذلك الإختيار الذى يجده فى نفسه ، والقرآن الكريم يقرر الإختيار فلكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى[1] .

## القرآن والعلم الحديث :

إذا كان الإسلام يقرر الإيمان ويقرر مسئولية الإنسان فى اختياره لسلوكه ، وإذا كانت الحياة تتطور مع تطور العصر وتقدم العلم – فموقف القرآن من العلم يجب أن يكون موقف التلازم والتعاضد فالإيمان قائم على الفكر والعلم وظيفة الفكر وصورته .

والقرآن لا يتعارض أبدا مع العلم وتقدمه ، والإمام فى تفسيره للقرآن الكريم عرض لأكثر من مثل يوضح به مدى التوافق بين العلم والقرآن ففى تفسيره لقوله تعالى ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ – يستخلص أن القرآن سبق معارف زمنه حيث تقدم باثبات حركة الأرض ، وقوله تعالى ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (البقرة –الآية : ١٦٤) . هذه الآية تؤكد العناية بدراسة الطبيعيات والعلوم الكونية . ومن النظريات العلمية الحديث فى القرآن نظرية « دارون » ففى قوله تعالى ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين﴾ ما يوحى بنظريتى تنازع

(١) محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ص٩٧ .

البقاء والانتخاب الطبيعى ، ويقول « فهذا أرشاد إلى تنازع البقاء والدفاع عن الحق وأنه ينتهى ببقاء الأمثل وحفظ الأفضل[١] .

غير أن محمد عبده فى تعرض القرآن للعلوم الحديثة يقرر مبدأ هامًا وأساسيًا هو أن القرآن لم ينزله الله تعالى لشرح مسائل العلوم والفنون الكونية فليس من مقاصد الدين تعلم هذه الأمور ، وإنما تذكر فيه محاسن المخلوقات وعجائبها للتنبيه على حكمة الله[٢] .

وصلة هذا الأمر بتربية المرأة أن القرآن الكريم لا يعارض أبدا فى تعليم العلوم الحديثة بل يحث على هذا النوع من التعليم ويرغب فيه لأن هذه العلوم هى التى تشكل الأساس الفكرى الذى يقوم عليه الدين وتبنى عليه العقيدة ، ونحن نعرف أن الإسلام ليس دين تقليد بل دين علم وفكر وتأمل » .

لذا فعندما نتحدث عن تربية المرأة فالواجب أن نتحدث عن تزويدها بقدر من العلوم الحديثة وألا نقتصر على العلوم الدينية فقط كما كان يردد ذلك من قبل ، حيث كان يقال أنه يكفى للمرأة أن تتعلم القرآن الكريم ومن القرآن تتعلم سورة النور .

إن المراة بحاجة إلى العلوم العصرية التى تدعم إيمانها أولا وتعدها لمواجهة الحياة العملية العصرية ثانيا .

**حقيقة العبادة :**

وإذا كان الإيمان قائما على العلم والتفكير فإن العبادة يجب ألا تكون مجرد طقوس وشعائر شكلية صورية بل يجب أن تكون لها روحها التهذيبية ، وقدرتها الخلقية الموجهة ، ففى الزكاة مثلا يجب أن نفرق بين الزكاة بمعناها الصورى الشكلى القائم على تحديد النصاب بالأرقام وطرق التحايل التى يمكن التخلص بها من أداء الزكاة عن طريق الشرع ، وبين الروح التهذيبية التى تتضمنها الزكاة وما تحققه من تكافل اجتماعى يحقق للمجتمع النمو والتطور . كذلك الصلاة ففى قوله تعالى ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ يتأكد أن الصلاة كى تكون معينة فيجب أن يتوفر فيها الخشوع

---

(١) جولد تسيهر ، مذاهب التفسير الإسلامى (ترجمة عبد الحليم النجار) القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٥٥م ، ص٣٨٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص٣٧٨ .

والخشية من الله واستحضار عظمته فليست الصلاة مجرد قيام وركوع وسجود وتحريك شفتين فكم من أناس أعتادوا فعل ذلك ولكنهم يرتكبون الخطايا والمنكرات[١] .

والإمام محمد عبده يربط هذا بما يصنعه الناس اليوم فهم يعنون بالشكل والمظهر أكثر من عنايتهم بالمضمون والجوهر ، ولقد كان هذا سببا من أسباب ضعف المسلمين ، حيث انصرفوا عن حقيقة تعاليم الدين ونظروا للإسلام نظرة شكلية وأغفلوا ما فيه من طاقة وحياة تصنع السلوك والحياة .

وفى مجال تربية المرأة يجب أن نستأنس بهذا الرأى ، فنعنى فى البرامج التعليمية وفى تدريس مادة الدين بالجانب التهذيبى وبالروح الخلاقة التى توجه السلوك فلا نقف عند مجرد تلقين المعارف أو تحفيظها بل نعنى بجوهر هذه المعارف وغاياتها بحيث نحيلها إلى نشاط سلوكى وواقع تطبيقى .

## الدعوة إلى الإجتهاد فى الفقه :

وبعيدا عن التمسك بالشكل ، وتأكيدا لمرونة الإسلام وعدم جموده أمام مقتضيات العقل – دعا الإمام محمد عبده إلى الإجتهاد فى ضوء الأصول العامة التى قررها القرآن والسنة إذ لا يصح الوقوف عند ما قررته المذاهب الأربعة ، فإن القسم الغالب من علم هذه المذاهب يعنى أساسا بالتنظيم والتقعيد لعوائد وملابسات تتغير تبعا لتغير الأزمنة والبلدان ، وهى تضع قواعد ومقاييس لعلاقات تجارية اقتصادية وهذه لا يمكن تثبيتها فى قالب جامد أزاء تطور الحياة وأزاء المستقبل . وليس مقبولا ما يستند إليه البعض من أن اختلاف الأمة رحمة فهذا الحديث الذى قيل أنه ورد عن النبى عليه السلام غير قابل للحجة لأن النصوص القرآنية الكثيرة تؤكد خطورة الإختلاف على الأمة .

ولا يمكن أن تتحقق الوحدة والقدرة على الحياة فى العلاقات الإجتماعية التى لا تثبت على حال ، إلا بالرجوع إلى القرآن على وجه يطابق روحه الحقيقية ، والسنة الصحيحة ، فليس الإسلام رفاتا محنطا لا حياة فيه وإنما هو مؤسسة حية تاريخية فعالة لا يجوز أن تتجمد حياتها فى حكمة متقادمة لبعض الثقات الغابرين منذ عهد طويل[٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٦٩ .

(٢) المرجع السابق ،ص٣٥٤ .

وعلاقة هذا بتربية المرأة أن المرأة المصرية لم تعان ما عانت من جهل وتخلف إلا بسبب الجمود والتقليد وعدم الإستجابة لروح العصر فلأن عصور التخلف التى عاشتها المرأة المصرية كانت مثقلة بالأقوال والأفعال التى لا تبيح للمرأة التعليم إلا لأمور دينها – فقد ظلت مخلفات هذه العصور مسيطرة على سلوك المجتمع ونشاطه ، حتى كان التجديد الذى قرر الإجتهاد والذى ترتب عليه الدعوة لتربية المرأة استجابة لروح العصر وتطور الزمن .

بهذه الخطوط العامة يتشكل الإطار الفكرى فى مجال الإصلاح الدينى وهو إطار يعكس ثقافة إسلامية واسعة وممارسة صوفية عميقة بهما أمكن لمحمد عبده أن يتصدر للإصلاح والتجديد وأن يقوم بمسئولية ، متطلباتها شاقة ومرهقة ، ولقد تعرض هذا الإمام لما تعرض له أستاذه الأفغانى عندما دعا إلى التجديد ، فإتهم بالزندقة والإلحاد ، وطبيعى أن يحدث هذا فى عصر سيطر عليه الجمود وناء بحمل التخلف والضعف فعاش أهل هذا العصر منعزلين داخل التقليد والمألوف وأغمضوا بصرهم عن حركة العصر من حولهم .

لكن محمد عبده بدعوته هذه كان قد وضع الأسس الهمة للتجديد ليتولى البناء عليها من بعد المدرسةُ التى حملت راية الكفاح من بعده وواصلت نشاطها وكفاحها حتى صار تعاليم الإمام محمد عبده دعامة من دعائم النهضة الفكرية الحديثة .

## الإصلاح الإجتماعى :

كان الإصلاح الدينى الذى قام به محمد عبده هو الأساس الفكرى لكل الجهود والمحاولات التى قام بها فى مجال الإصلاح الإجتماعى ، فلم يكن مفكرا فقط بل كان يربط فكره بعمله ، وتخير المجال الإجتماعى مجالا لنشاطه وإصلاحاته راجع إلى عدم أقتناعه بالأسلوب السياسى فى تحقيق الرقى والتقدم ، ففكرة الجامعة الإسلامية وهى أبرز فكرة سياسية فى ذلك الوقت لم تكن – كما قال الأستاذ جب الإنجليزى –إلا اقتباسا من الآراء الرجعية ، النازعة إلى الحكم المطلق ، ومن أجل ذلك كانت الجامعة الإسلامية أدنى إلى أن تكون عنصرا من عناصر التفرق والضعف من أن تكون عنصرا من عناصر القوة التى تحقق الملأمة بين الإسلام والعالم الحديث[1] .

(١) عثمان أمين ، رائد الفكر المصرى الإمام محمد عبده ، ط ٢ ، القاهرة : الانجلو ١٩٦٥ ، ص١٧٠ .

فالواقع أن الإمام كان قد فقد الثقة فى كل إصلاح سياسى على النحو الذى يريده الأفغانى أستاذه ، فبعد أن توقف صدور جريدة العروة الوثقى فى أواخر عام ١٨٨٤ م ، وبعد أن فشل مشروع الجامعة الإسلامية أشار الإمام على أستاذه أن ينصرفا عن السياسة ويتجها إلى تربية الشباب وفقا لمناهج جديدة تحقق المثل الأعلى والغاية المنشودة ، وإذا كان هذا الأسلوب أبطأ تغييرا فهو أعمق أثرًا وأبقى نفوذًا ، لذا وجه محمد عبده نشاطه إلى المجال الإجتماعى فكان من أكبر المصلحين الذين تملكوا روح التطور إلى أعلى درجة[١] .

كان يرى أن عناصر الكيان الإجتماعى سبعة : العلم ، الأدب ، التجارة ، الصناعة ، العدل ، الدين ، السلاح . وكان يرى ضرورة إصلاح هذه العناصر السبعة حتى يمكن للمجتمع أن ينهض وأن يتطور .

وفى ضوء ذلك زاول نشاطه بالمجالات التالية التى قدر له أن يعمل فيها وهى :

١ – إصلاح الأزهر .

٢ – إصلاح المحاكم الشرعية .

٣ – العمل فى مجلس شورى القوانين .

٤ – العمل فى الجمعية الخيرية الإسلامية .

٥ – العمل فى جمعية أحياء الكتب العربية .

## إصلاح الأزهر :

تحدثنا فيما مضى عما عاناه الإمام فى التعلم بالأزهر وما كان له من أثر فى نفسه جعله يتحين الفرصة لإصلاح هذا المعهد العتيد وأهميته لا ترجع إلى كونه مجرد مدرسة للتعليم بل إلى تأثيره الذى يمتد ليشمل تكوين العقلية الإسلامية وتشكيلها ، لذا فإن إصلاح الأزهر كان أمرًا ضروريًا تفرضه أهميته وعظم رسالته .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٤٣ .

لقد بدأ محاولاته فى الإصلاح فى عهد الخديو توفيق ولكن لم يستطع أن يدخل إلا تعديلات ثانوية ، ووجد فى رجال الأزهر الخصومة والعداء ، فأيقن أنه لابد أولا أن يظفر بتأييد الخديو لكن الخديو لم يكن مستعدا لفهم التجديد المطلوب ، فلم تلق جهود الإمام أية رعاية ، حتى جاء عباس الثانى وأطلعه الإمام على رغبته فى الإصلاح بحيث يكون الأزهر جامعة إسلامية للثقافة الصحيحة وبحيث يعد الرجال العاملين القادرين على نشر التعاليم الدينية الحقة والمعانى الأخلاقية السامية ومحاربة البدع والخرافات ، وقد استجاب الخديو لذلك وكلف محمد عبده بوضع مشروع للإصلاح ، فشكل محمد عبده مجلس إدارة مهمته الإشراف على التعليم والتربية بالأزهر .

وكان أول الإصلاحات التى تناولها تحديد مدة الدراسة بالأزهر وتحديد أيام العطلات وبداية السنة ونهايتها ، وكان الأزهر قبل ذلك يسير بلا ضابط زمنى ، كذلك أيضا وجه العناية إلى نظام التدريس والامتحان فاقترح عقد امتحانات سنوية ولم يكن هذا النظام معروفا من قبل ، كذلك أيضا قام بالغاء دراسة بعض الكتب العقيمة كالشروح والحواشى التى أعتاد المشايختدريسها ، كذلك أيضا قام بتقسيم العلوم إلى علوم مقاصد وعلوم وسائل ، فاطيلت مدة الدراسة فى علوم المقاصد كالتوحيد والتفسير والحديث والفقه أما علوم الوسائل كالمنطق والنحو فقد ألزم بأداء الامتحان فيها طلاب شهادة العالمية كذلك أيضا قام بإدخال محاضرات فى علوم التاريخ والجغرافيا والرياضيات والفلسفة والإجتماع وغيرها من العلوم .

والواقع أن هذه الإصلاحات البسيطة لم يستطع محمد عبده تنفيذها جميعا بسبب مناوأة شيوخ الأزهر له ، ففى ٦ يوليو عام ١٨٩٩ م تولى مشيخة الأزهر الشيخ سليم البشرى فعطل أعمال المجلس وألغى اقتراحاته ، على أن خصومه كانوا يحاربونه بأخس الوسائل ، فقد لفقوا له صورة شمسية مع بعض نساء الافرنج وحملوها للورد كرومر وأفهموه أن هذا فى عرف المسلمين لا يجوز صدوره ممن يتولى منصب الإفتاء – تولى منصب الإفتاء فى ٣ يونيو عام ١٨٩٩ م – وأخذت الجرائد الهزلية تصوره بصورة شنيعة ، وكان هذا كفيلا بعد وله عن المضى فى طريق الإصلاح حتى أن بعض أصدقائه كسعد زغلول وقاسم أمين كانوا يعيبون عليه الحاحه فى إصلاح الأزهر فكان يقول إن وجدانى الدينى لا يرضى بالصمت عن المفاسد[1] .

---

(١) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص٣٢٢ .

## إصلاح المحاكم الشرعية :

كان بحكم المنصب الذى تولاه محمد عبده وهو منصب الإفتاء له الحق فى تفسير الشريعة ، وقد كانت فتاواه كلها نهائية ، وبحكم هذا المنصب استطاع أن يصلح بعض أمور المحاكم الشرعية فعمل ٢على تفتيشها بكل أرجاء القطر ولم يدع محكمة مديرية أو مركز إلا شاهدها بنفسه وبحث أمورها .

وكان ما لفت نظره ، وسجله فى تقريره تلك الحالة السيئة التى كانت عليها المحاكم من نقص القضاة وسوء مرتباتهم وسوء الأماكن المخصصة لهم ، وقد أهتم مجلس شورى القوانين بتقرير الإمام ، فألفت الحكومة لجنتين برياسة الشيخ محمد عبده أحداهما من أفاضل العلماء لجمع ما يلزم لعمل القضاة من الأحكام الشرعية ، وثانيتهما من أكابر العلماء وبعض ذوى الشأن لتقترح مشروعا بإنشاء مدرسة القضاء الشرعى[١] .

## العمل فى مجلس شورى القوانين :

بعد أن أسند إليه منصب الإفتاء ، عين عضوا دائما بمجلس شورى القوانين ، وكانت مصر حديثة عهد بالحكم النيابى ، ولم تكن سلطة المجلس إلا استشارية فقط ، وقد أستطاع الإمام أن يقدم للمجلس خدمات جليلة ، فقد أثبت أنه برلمانى قادر ، كما أثبت كفاءته فى عضوية اللجان ، وأثبت أنه إدارى محنك ، لذا كان روح المجلس مسموع الكلمة ، وكان رئيسا لأكثر اللجان الهامة التى تفحص ما تحيله الحكومة إلى المجلس ، وقد وجه جهدًا كبيرًا لهذه الأعمال ، لأنه كان يحرص على خلق تقاليد من الجد والإهتمام فى الأمور العامة ، وتربية الرأى العام[٢] .

## العمل فى الجمعية الخيرية الإسلامية :

تأثر الإمام محمد عبده لما رآه أثناء وجوده بأوربا ، فقد شاهد الجمعيات الخيرية وما تقدمه للناس من معونة ومساعدة ، وخدمات عامة ووجد أن المسلمين أولى بمثل هذا العمل من الأجانب ، من هنا دعا الشيخ محمد عبده إلى تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية عام ١٨٩٢ م وكان من أعضائها المؤسسين ، وكان غرض الجمعية إعانة

---

(١) تشارلز آدمس ، الإسلام والتجديد ، ص٨ ٧.

(٢) المرجع السابق ،ص٧٩ .

العاجزين من المسلمين عن الكسب بالمال ، وإنشاء المدارس لتعليم أبناء الفقراء غير القادرين على نفقات التعليم ، وقد بذل الإمام جهدًا كبيرًا فى دعوة الأغنياء إلى تأييد الجمعية وأمدادها بالمال ، وقد رأس الجمعية عام ١٩٠٠ م .

## العمل فى جمعية أحياء الكتب العربية :

كان الإمام محمد عبده بدافع أسلامه وعروبته حريصا على أحياء اللغة العربية ، وكان يرى أن وسيلة الإصلاح ليست فى كتب اللغة الأزهرية وإنما تكون بأحياء كتب القدماء ، من هنا أسس فى عام ١٩٠٠ م جمعية أحياء العلوم العربية ، وقد قامت هذه الجمعية بطبع كتابين أحدهما المخصص لابن سيده ، وثانيهما كتاب الموطأ فى الحديث للإمام مالك ، ووالى بجهده وتشجيعه كل الذين ساهموا فى أحياء النهضة الأدبية ، فقام مثلا بشرح مقامات البديع ، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجانى[1] .

ولا ننسى أن حركة الأحياء هذه كانت فى جوهرها حركة قومية وكانت أساسا للنهضة الفكرية والوطنية على حد سواء .

## تربية المرأة فى رأى الإمام محمد عبده :

لم تكن كل هذه الآراء الإصلاحية التى نادى بها الإمام محمد عبده والتى سبق الحديث عنها – بمعزل عن قضية تربية المرأة المصرية ، فقد كانت متصلة بها اتصالا وثيقا إذ لم يكن يتحقق لتربية المرأة النهوض والتطور إلا فى ظل الإصلاح الدينى والإصلاح الإجتماعى ، فكل ما أعلنه محمد عبده به كان له صداه المباشر فى تربية المرأة ، لأن الإصلاح الدينى كان بهدف إلى تنقية الدين مما ليس منه ، ولهذا دلالته التربوية إذ هو يعنى تنوير العقول وتثقيفها بالتعاليم الإسلامية الصحيحة بدل تضليلها بالشعوذة والخرافة والإصلاح الإجتماعى كان يهدف إلى الرقى بشأن المجتمع وتوفير الحياة الكريمة له ، وهذا أيضا له دلالته التربوية إذ لا يمكن أن ينهض المجتمع ونصف عدده – النساء – طاقه مهملة معطلة ، فكان لابد إذا من إصلاح وضع المرأة وتربيتها إذا ما أردنا النهوض بالمجتمع .

---

(١) عباس العقاد ، محمد عبده ، ص٣٠٦ .

وهكذا يتضح أن كل إصلاح هادف بناء لابد أن يأخذ فى الإعتبار إصلاح حال المرأة بحسن تربيتها وإعدادها إعدادًا سليمًا .

ولقد توفرت الظروف وتجمعت الأسباب التى تقضى بضرورة معرفة رأى الدين فى تربية المرأة نظرا لحداثة الدعوة إلى تربيتها ، ولما كان محمد عبده له مكانته الدينية وله رأيه الخطير باعتباره مفتى البلاد لذا كان واجبا أن يعرف الناس رأيه فى هذه الدعوة الجديدة التى تنادى بتربية المرأة .

ولقد بينا كيف كان الإمام رائدا لحركة التجديد فى الفكر الإسلامى وأنه كان يهدف إلى إحياء الإسلام فى بساطته الأولى وحيويته التى صنعت الحياة والحضارة ، وعرفنا أنه كان ينعى على العالم الإسلامى ذلك التخلف والجمود الذى أدى به إلى هذه الحال ، من هنا كان عليه أن يشخص الأدواء الإجتماعية المختلفة التى عاقت المجتمع الإسلامى وشلت حركته حتى يتسنى له أن يقدم العلاج الذى يراه كفيلا بالنهوض والذى كان يستمده من تعاليم الدين الحديث ، وكان فى مقدمة هذه الأدواء جهل المرأة ولكثيرا ما آله وأحزنه أن يسمع ما يوجهه المستشرقون إلى الإسلام من تهم وافتراءات ، فقد نموا إليه تخلف المرأة وادعوا أنه المسئول عن تعاستها وشقائها وحبسها داخل جدران أربع يسيطر عليها الجهل ولا جدوى لها إلا أن تكون الخادمة المطيعة لمولاها وسيدها الرجل ، فهى قد خلقت لتشبع نزواته ولتقوم بأمر بيته .

آله هذا وأحزنه ودفعه إلى أن يجلى الحقيقة ، وأن يزيل عنها ضباب التشكيك والتضليل ، فالإسلام لم يهدر أبدا كرامة المرأة ، ولم يعرف نظام أو دين أعلى من شأن المرأة وعنى بأمرها مثل الإسلام ، وما لحق بالمرأة من ضير وتخلف إنما مبعثه الظروف الإجتماعية التى أحاطت بها والتى صنعت لها هذا السجن المغلق .

وكان على الإمام وهو الرجل المصلح الذى يربط ما بين النظر والعمل أن يقف أولا على أصل الداء وأن يفحص ظواهره ، ثم يبصر بعد ذلك بطريق النهوض ، كل هذا من منطلق الفهم الواعى للقرآن الكريم والسنة .

نظر الإمام إلى الأسرة المصرية فوجدها معرضة للتصدع والضياع ، إذ لم تكن تتوفر لها الضمانات الكفيلة بحمايتها وصيانتها وكان أبرز ما يهدد الأسرة بالتفكك هو تعدد الزوجات ، وتعدد الزوجات كان نتيجة لتلك النظرة الخاطئة التى ينظر بها الرجل إلى

المرأة والتي تنم عن جهل بالدين وعدم فهم لمقاصده بدأ الإمام فى تجلية الصورة باثبات المساواة الأدبية بين الرجل والمرأة فلا فرق بينهما فى البشرية ولا تفاضل ، واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ .

وقد بنى على هذا الأساس رأيه فى التعدد الذى ورد فى القرآن الكريم قال تعالى ﴿وإن خفتم الا تقسطوا فى اليتامى ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ (النساء ، الآية ٣) .

فالإسلام يبيح للرجل أن يتزوج بأربع ولكن بشرط مراعاة العدل بينهن ويخلص من هذا إلى نتيجة هى النهى عن كثرة الزوجات ، ويذكر أن لا سبيل إلى تربية الأمة ما دام يتفشى فيها تعدد الزوجات ، ويقول أنه يجب على العلماء أن ينظروا فى الأمر لأن الدين أنزل لصالح الناس وليس لاضرارهم ويجب العمل بتلك القاعدة وهى أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[١] .

ويجد محمد عبده فى القرآن الكريم الإعتراف بمبدأ وحدة الزواج وذلك بصورة ضمنية فى قانون الميراث ، ففى حالة تعدد الزوجات إذا ما مات الزوج فانهن يشتركن جميعا فى نصيب واحد من الميراث ، ويعلق على ذلك بأن الحكمة الظاهرة من هذا هى أرشاد الله لنا إلى أن يكون الأصل فى الزواج هو الاكتفاء بزوجة واحدة ، لأن التعدد من الأمور النادرة ، والتشريع يراعى دائما الكثير الشائع لا القليل النادر[٢] .

وكان يرى أن الوسيلة الكفيلة بالقضاء على هذه المشكلة – تتمثل فى تربية المرأة وتسليحها بالعلم ، وكان يرى أن من أخطر الأسباب التى أدت إلى ضعف المسلمين – كما قال فى رده على هانوتو – « إن النساء قد ضرب بينهن وبين العلم بما يجب عليهن فى دينهن أو دنياهن بستار لا يدرى متى يرفع » ، وذكر فى احدى خطبه بالجمعية الخيرية وقال : « نحن نتمنى تربية بناتنا » فإن الله تعالى يقول ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾ فترك البنات يفترسهن الجهل وتستهويهن الغباوة جرم عظيم[٣] .

---

(١) جولد تسيهر ، مذاهب التفسير الإسلامى ، ص٣٨٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص٣٨٩ .
(٣) عباس العقاد ، محمد عبده ، ص٢٩٩ .

فالتربية إذا هى الطريق لرقى المرأة وتقدمها ، ومما يزيد الأمر وضوحا ويؤكد أن الإمام كان يرى العلاج فى التربية ما ذكر من أنه حدث فى عام ١٨٩٧ م أن اجتمع الأستاذ الإمام وسعد زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين فى جنيف وأخذ قاسم أمين يتلو على الإمام بعض فصول من كتابه عن تحرير المرأة فكان الإمام يوافق على ما فيها ، وقيل إن بعض فقرات هذا الكتاب تنم عن أسلوب الإمام نفسه[١] .

## القيمة التربوية لآراء مدرسة الإمام :

لم يكن الأستاذ محمد عبده من مشايخ الطرق الصوفية يعطى تلاميذه العهود ويحفظهم أسرار الطريقة ولم يكن صاحب دعوة خفية يرسى تعاليمها وراء الحجب والأستار ولكنه كان رجلا يملأ اسمه البلاد ويتردد ذكره فى محافل الإصلاح الدينى والسياسى وتتجه إليه الأنظار فى ميادينهما ، وله فى كل ناحية من نواحى الحياة مشاركة ، وهو حينما كان عامل على الإصلاح مرعى الجانب مسموع الرأى كان رجلا واسع العلم واسع آفاق الفكر وله فى علمه الواسع منهج سليم .

كانت دعوته دعوة عامة ومدرسته ليست مدرسة يحدها زمان ولا مكان ولا أشخاص ، ولكنها مدرسة تتلاقى فيها الأرواح جنودا مجندة[٢] .

وكان لهذه الآراء التربوية التى نادى بها الإمام محمد عبده وأنصاره قيمة كبيرة فى نفوس المسلمين ذلك بأن هذه المدرسة الفكرية مدرسة محمد عبده والتى كانت تستلهم مبادئها من مبادىء جمال الدين الأفغانى – كانت تتمتع بحكم تكوينها الدينى بمنزلة كبيرة وكانت أكثر تغلغلاً وتعمقًا فى البيئات الشعبية المعزولة عن الحضارة الحديثة وكانت هذه المدرسة أقدر على مخاطبتها برد اعتبار المرأة فى الحدود التى رسمها السلف للمجتمع الإسلامى ، لذا شاركت هذه المدرسة بطريقتها الخاصة فى تعليم البنت وكانت ذات قوة ثورية تقدمية فى زمنها لها شأنها ومكانتها .

وهكذا أدرك الأستاذ الإمام الحاجة الملحة إلى تعليم المرأة فى عصره وتحسين أحوالها وعد ذلك من الأمور الرئيسية فى البرنامج الإجتماعى لحزبه ، وقد عرف أنصاره بحزب

---

(١) دريه شفيق ، إبراهيم عبده ، تطور النهضة النسائية فى مصر ، القاهرة : مكتبة الآداب بالجماميز ، ١٩٤٥م ، ص٧٨ .

(٢) على عبد الرازق ، من آثار مصطفى عبد الرازق ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٧م ص٢٢ ، ٢٣ .

البعث وكانوا يسمون بالسلفيين الذين أرادوا تجديد شباب الأمة العربية والعالم الإسلامى كل فى حدود فلسفته ببعث أمجاد السلف الفكرية والروحية والمادية سواء على المستوى الفردى أم الجماعى ، إيمانا بأن تراث السلف الأصيل قد حوى أشرف مقومات الحضارة بعلومها وفنونها ونظمها الإجتماعية والسياسية والأخلاقية[1] .

ولقد كان قاسم أمين الذى سنتحدث عنه بعد ذلك هو واحدا من أنصار الإمام محمد عبده ورائدا من رواد حركة تحرير المرأة التى كانت تهدف إلى العناية بأمرها وتحسين أحوالها عن طريق تعليمها وتربيتها حتى يمكن لها أن تتمتع بحقوقها وأن تتبوأ مكانتها الإجتماعية الكريمة التى تمكنها من أداء دورها فى حياة المنزل وحياة المجتمع .

**ثالثا : قاسم أمين (١٨٦٣ م – ١٩٠٨م) :**

عندما تذكر النهضة النسائية عموما وتربية المرأة على وجه الخصوص فلابد أن يصحبهما اسم قاسم أمين ، فهما يرتبطان به ارتباط الوليد بوالده ، ذلك لأنه هو الرائد الحديث الذى وقف فكره وقلمه على قضية المرأة مدافعا عنها حاميا لها مشيدا بأهميتها ومكانتها ، لم يعرف الكلل إلى ارادته سبيلا ، ثبت أمام المحن ، ووقف أمام الشدائد ، لم تلن له قناة ، ولم تفتر له همة ، بل ظل ماضيا فى طريقه لا يشغله عن هدفه شاغل ، وحتى عندما مات فإنه مات فى ميدان الجهاد الشاق متحملا أعباءه بقوة وعزيمة ، مات بالسكتة القلبية بعد أمسية قدم فيها طالبات رومانيات فى نادى المدارس العليا .

من هنا كان قاسم أمين جديرا بأن يكون واحدا من الرواد الذين حملوا على كاهلهم عبء الإصلاح والتجديد فى مجال الفكر الإسلامى وفى مجال تربية المرأة ، ومن هنا كان جديرا أن نخصه بالحديث لنتبين دوره ، ولنقف على مدى توفيقه فى بيان صلة الفكر الإسلامى بتربية المرأة .

وهو يختلف عن صاحبيه وأستاذيه معا – الأفغانى ومحمد عبده – فى أنه رأى منطلق الإصلاح إنما يجب أن يكون بتربية المرأة فإذا ما أحسنت تربية المرأة تربية دينية صحيحة أمكن أن يتحقق الإصلاح والنهوض الذى يسعى إليه المصلحون .

وفى حديثنا عن قاسم أمين سنركز على أمرين فقط هما :

---

(١) زينب فريد ، تطور تعليم البنت فى مصر فى العصر الحديث ، (رسالة دكتوراه) جامعة عين شمس كلية التربية ، ١٩٦٦م .

١ – مصادر فكره .
٢ – رأيه فى المرأة وتربيتها .

**مصادر فكره :**

يمكن أن نحدد المصادر التى استوحى منها فكره فى قضية المراة وتربيتها بثلاثة مصادر :

( أ ) طبيعته المرهفة .
(ب) عصره .
(جـ) ثقافته الفرنسية .

**طبيعته المرهفة :**

لقد حبا الله قاسم أمين طبيعة تميزت برهافة الحس ورقة الشعور ونبل الوجدان وصفاء السريرة ، وحب الآخرين والتسامح معهم ، والتضامن مع المظلوم والوقوف معه ، ولعله ورث هذه الطبيعة عن أبيه فقد كان حيًا متسامحًا يحب الآخرين ، وقد انعكست هذه الطبيعة على أنواع السلوك المختلفة لقاسم أمين كما انعكست على فكره ، فهو كرجل قضاء كان يميل فى محاكماته إلى الرقة والتسامح وكان يرى أن معاقبة الشر بالشر إنما تعنى إضافة شر إلى شر ، وأن الخطيئة هى الشىء المعتاد الذى لا محل للإستغراب منه ، وأنها الحالة الطبيعية الملازمة لغريزة الإنسان[1] .

وكان أكثر ما تتصف به طبيعته هذه – التمسك بحرية الرأى والأخذ بها كمبدأ ، وهذه ظاهرة كثيرا ما توجد فى أرباب الحياء فهم مع احترامهم لغيرهم ولحريته يضيقون جدا ويثورون إذا ما أحسوا بتهديد لهذه الحرية أو محاولة للضغط عليها ، وهذا سر نجاحه ، ولذلك فهم لا يجهرون برأى إلا بعد دراسة وتمحيص .

وقد كان لهذه الطبيعة أثر قوى فى دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة فهى كائن مظلوم يجب التضامن معه والدفاع عنه ، ثم هى كإنسان يجب أن تتوفر لها الحرية ، وأخيرا هى مثال الجمال الذى يفتن به ويقدسه ، وإذا كانت الموسيقى وكان التصوير وكان

---

(١) محمد حسين هيكل ، تراجم مصرية وغربية ، القاهرة : مطبعة السياسة والسياسةالأسبوعية ، ١٩٢٥م ، ص١٦٧ .

التمثيل محببا إليه فإن مصدر الوحى الذى تصدر عنه هذه الآثار جميعا هو المرأة فهى التى تخلع على الطبيعة الجمال والروعة ، لقد كتب قاسم يقول « كلما أردت أن أتخيل السعادة تمثلت أمامى فى صورة امرأة حائزة لجمال المرأة وعقل الرجل »[١] .

وهكذا يتضح لنا أثر هذه الطبيعة فى توجيه سلوكه وتشكيل فكره .

**عصره :**

انحصرت حياة قاسم أمين بين العقد السابع من القرن الماضى والعقد الأول من هذا القرن ، وهى الفترة التى بدأت تورق فيها شجرة الفكر وتزهر ثمارها بحيث صارت سبل الإصلاح فيما بعد واضحة المعالم بارزة القسمات .

على أنه يمكن أن نقف على المعالم البارزة لهذه الفترة لإتصالها إتصالاً وثيقًا بفكر قاسم أمين ودعوته .

لقد اتسمت هذه المرحلة من حياة المجتمع المصرى بالتناقض والإضطراب ، والتراوح ما بين المد والجزر ، مدنية غربية جديدة وافدة أزاء حضارة شرقية موروثة ، احتدم الصراع بينهما وكان لابد أن يحتدم حتى يسفر الصراع فى النهاية عن فكر جديد يجمع بين خصائص القديم وسمات الجديد ، فكر يريد أن يستفيد من المدنية الغربية فى نطاق الروح الشرقيةالمحافظة .

ولقد كان سهلا أن يتقبل المجتمع الجانب المادى من الحضارة الغربية لنفعه ويسر استخدامه ، ساعد على هذا أن الغربيين كانوا يشجعون على نشر هذا الجانب بمد السكك الحديدية التى تمكن من سلطانهم وتيسر انتشار مخترعاتهم ، حتى لقد صارت هذه المخترعات شائعة متداولة بين الناس[٢] .

أما الجانب المعنوى أو الفكرى فى هذه الحضارة الغربية فلم يكن من الميسور أن يتقبلها الرأى العام دفعة واحدة ، خاصة وأن هذا الجانب له حساسيته الدينية المفرطة ، لذا كان لابد من فترة يستطيع فيها الفكر الشرقى أن يمحص ويدرس حتى يأذن للفكر الجديد أن يدخل ضمن مكوناته . فالصراع بين الأشياء كان أبرز سمات هذه الفترة ،

---

(١) المرجع السابق ، ص١٧٢ .
(٢) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص٢٣٨ .

صراع سياسى من أجل الحريةوالإستقلال ، وصراع إقتصادى من أجل تحقيق الإكتفاءالذاتى ، وتوفير الحياة الكريمة لجماهير الشعب ، وصراع إجتماعى من أجل المساواة والعدالة والقضاء على الإستبداد ،وأخيرا صراع من أجل المرأة من أجل الخروج بها من كهف الجهلوالعزلة إلى نور العلم والحياة .

ولقد ساعد قاسم أمين على الإنفعال بأحداث عصره وطنيته الصادقة وحبه لبلده ، وقد كان واحدا من تلاميذ وأتباع السيد جمال الدين الأفغانى الذين تشربوا روحه وجذبهم الحديث عن الوطنية والجامعة الإسلامية والعمل على تنقية الدين من كل ما يريب كما كان صديقا للشيخ محمد عبده وعنه أخذ التصور الحق للدين وقدرة هذا الدين على تطوير الحياة .

لذا كان للعصر بما يموج به من تيارات الأثر البالغ فى تشكيل آرائه وتحديد فكره .

**ثقافته الفرنسية :**

لا ينكر أحد جدوى المشاهدة والتأثر بما يجرى فى الدول المتقدمة ، فالأطلاع والاحتكاك بالثقافة الأجنبية ومشاركة الأجانب فى أنماط سلوكهم وطرائق معايشهم — كل أولئك يشكل مصدرًا هامًا من مصادر الثقافة وبعدا عميقا من ابعاد الفكر .

ولقد سبق أن اشرنا لأهمية هذا المصدر عند الحديث عن رفاعة الطهطاوى .

ذهب قاسم أمين إلى فرنسا للدراسة وذهل لما رآه من تقدم فى كل مجالات الحياة ، زار متحف اللوفر وأعجب أيما إعجاب برقى الفن الفرنسة ونضجه ، وقارن بين الفن فى فرنسا وبين الفن فى الشرق واستخلص من الموازنة سببا من أسباب انحطاط الشرق العديدة ، لقد وقف بنفسه على التقدم الهائل فى كل ألوان معارف والعلوم سواء فى العلوم الرياضية والطبيعية أم فى النهضة الصناعية ، كما بهره جو الحرية الذى شمل كل المجالات ، لقد تطورت فكرة الحرية إلى أيديولوجية يدين بها المجتمع فلا رق ولا عبودية ولا استبداد ، وقد كانت الكتابات العديدة التى نادت بالحرية مثل كتابات ماركس عام ١٨٦٧ م فى « رأس المال » — ذات أثر كبير فى تحرير الطبقة العاملة من كل القيود ، وقد امتد مفهوم الحرية ليشمل مجال المرأة فظهرت الحركات النسائية فى فرنسا ومثلها فى انجلترا وأمريكا ، وغذى هذه الحركات بعض التجارب النسائية مثل التجربة التى قامت بها بعض الولايات الأمريكية حينما منحت الحقوق السياسية للنساء .

كل هذه الأمور عاشها قاسم امين فكرا وتأثر بها وجدانا فانتفض فى داخله روح التجديد وثار فى أعماقه روح الوطنية فعاد وقد وطن نفسه على أن ينهض بوطنه ما أستطاع إلى ذلك سبيلا ، وكانت الدعوة التى جهر بها بعد عودته هى محصلة المصادر الثلاثة السابقة .

## رأيه فى المرأة وتربيتها :

مع أن لقاسم أمين جهودا أخرى فى غير قضية المرأة مثل الجهد الذى بذله مع صديقه سعد زغلول من أجل تأسيس الجامعة المصرية – إلا أن شهرته راجعة إلى كونه محرر المرأة والداعى لتعليمها .

وقد تناول قاسم أمين قضية المرأة من ثلاثة جوانب :

( أ ) مساواتها بالرجل .

(ب) تربيتها .

(جـ) الحجاب والسفور .

## مساواتها بالرجل :

يذكر قاسم أمين أن صورة المرأة فى ذهننا لازالت هى الصورة التى كانت لها فى الماضى تلك التى ورثناها عن أجدادنا العرب الذين قامت حياتهم على الحرب والغزو والتى لم يكن للمرأة فيها من حظ . وهى صورة لا تتناسب أبدا مع الحاضر بعد أن تغيرت الحياة الإقتصادية والإجتماعية تغيرًا ملحوظًا ، ويرى أن ما أصاب المرأة من ذل وعبودية راجع إلى العادات الدخيلة والأخلاق السيئة ، وقد ساعد على استمرار هذه الأخلاق توالى الحكومات الإستبدادية ، ذلك أن طابع الإستبداد قد أخذ ينتقل من الحاكم الأعلى إلى من هو دونه فأخذ الرجل لقوته يحتقر المرأة لضعفها[1] .

ويقرر قاسم أمين أنه ليس صحيحا ما قيل من أن المرأة مخلوق ناقص العقل وأنها أضعف عزيمة من الرجل ، ويذكر أن التشريح الفسيولجى فى البلاد التى أعطت للمراة حريتها قد أثبت مساواة المرأة للرجل فى الملكات .

---

(١) قاسم أمين ، تحرير المرأة ، ط ٢ ، القاهرة : روز اليوسف ١٩٤١م ، ص١٤ .

أما الإسلام فلم تعرف شريعة سبقته إلى تقرير المساواة ذلك أنه منح المرأة حريتها واستقلالها ، واعتبر لها الكفاءة الشرعية التى لا تنقص عن كفاءة الرجل فى جميع الأحوال المدنية ، وقد بالغ فى الرفق بها فوضع عنها أعباء المعيشة .

**تربية المرأة :**

يتحدث قاسم أمين عن ضرورة تربية المرأة ويذكر أن الأمة الإسلامية ما أصابها التدهور والإنحطاط حتى فى أمور دينها إلا بسبب إهمال تربية المرأة ، فإنحطاط الدين تابع لإنحطاط العقول ، وإنحطاط العقول راجع إلى إهمال تربية المرأة[١] .

ويؤكد على ضرورة تربية المرأة حتى يمكنها أن تنهض بتبعات مسئولياتها وهذه المسئوليات تتمثل فى :

١ – ما تحفظ به نفسها .

٢ – ما تفيد به أسرتها .

٣ – ما تفيد به المجتمع .

وبالنسبة المسئولية الأولى فإن المرأة محتاجة للتربية فى تدبير ثروتها وشئونها ، فبدل أن تسند أمورها إلى وكيل لها أو تتخذ أختاما فهى بالتربية تستطيع أن تمارس أمورها بنفسها ، ثم إن العلم غاية شريفة يكفل للانسان قوامه المادى والروحى .

وبالنسبة المسئولية الثانية فإن التربية ضرورية للمرأة فى حياتها العائلية ، فالرجل المتعلم الذى تعود على النظام والتذوق يحتقر المرأة الجاهلة ، ذلك لأن الزواج ليس رغبة جسدية فقط ، إذ هو مع قدم العهد تضعف معه هذه الرغبة ، فالزواج رغبة معنوية أساسا وهذه الرغبة لا تتوفر إلا مع التربية وإلا انقلبت حياة الأسرة إلى جحيم والتربية مهمة لإدارة المنزل بعد أن صارت هذه الإدارة فنا يحتاج لمعارف كثيرة .

على أن أهم دور للمرأة فى حياتها العائلية هو تربية الأطفال « فهن اللاتى يعودن الطفل على حسن الفعال وتجميله بنبيل الخصال »[٢] .

---

(١) المرجع السابق ، ص١١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص٤١ .

وقد أورد إحصائية لوفيات الأطفال بالقاهرة وقارنها بوفيات مدينة كبيرة مثل لندن ، فرأى أن عدد الموتى من الأطفال بالقاهرة يزيد على ضعف عدد الموتى من الأطفال فى لندن ، وما ذلك إلا لجهل المرأة وسوء تربيتها .

وبالنسبة المسئولية الثالثة فعدد النساء فى كل بلد يمثل حوالى نصف السكان ، وجهل نصف المجتمع معناه حرمان الأمة من الإنتفاع بطاقته ، أو الإنتفاع به إنتفاعًا يسيرًا ، فالمرأة تحتاج للتعليم حتى تكون إنسانا يعقل ويريد ويعمل ويساهم فى تحمل نفقات الحياة فهذا ما يؤكد وجودها ويكفل لها حقوقها ، وما استرقت المرأة إلا لأنها كانت عالة على الرجل[1] .

ويربط قاسم أمين بين جهل المرأة وتخلف المجتمع فيفترض لهذا التخلف ثلاثة أسباب : الاقليم – الدين – الأسرة ، ويستبعد السبب الأول فلم يثبت بالأدلة العلمية أن درجة الحرارة يمكن أن تؤثر فى العقل والجسم تأثيرا ذا بال ، كذلك فإن الدين كان عاملا من عوامل الرقى وبناء الحضارة الإسلامية فلا يمكن أن يكون سببا من أسباب التخلف والإنحطاط ، يبقى بعد هذا سبب الأسرة فإذا ما كانت الأم جاهلة عجزت عن أن تلقن الطفل احترام الدين والوطن والفضائل وغرس الأخلاق الفاضلة فى نفسه .

فإذا ما أردنا نهضة حقيقية للمجتمع فلنبدأ من أول الطريق بالمرأة التى تقدم للأمة رجلا يفيد نفسه وأهله وأمته ، وإذا آمن المجتمع بمبدأ التقدم أمكن له أن يتخلى عن كل التقاليد التى تحد من فكرة وتربطه بالتراث فقط .

### الأهمية التربوية لآراء قاسم أمين فى تعليم المرأة :

بعد أن ذكرنا كيف أن قاسم أمين قد أكد على ضرورة تعليم المرأة ، ونما تخلف المجتمع إلى جهلها نود أن نتحدث عن الأهمية التربوية للآراء التى أدلى بها فى تعليم المرأة وهى تشمل النقاط التالية :

١ – الغرض من تعليم المرأة .

٢ – ما يجب أن تتعلمه المرأة .

٣ – ميادين العمل أمام المرأة .

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٤ .

٤ – قصور تعليم المرأة فى عصره .

**الغرض من تعليم المرأة :**

حدد قاسم أمين الغرض من تعليم المرأة بالآتى :

( أ ) اعداد المرأة لتكون إنسانا يعقل ويريد .

(ب) اعداد المرأة للحياة الأسرية كزوجة وأم .

(جـ) اعداد المرأة للعمل والكسب .

بالنسبة للغرض الأول فإننا قد أشرنا فيما مضى إلى أن المرأة بحاجة إلى التعليم حتى تكتمل لها مقومات إنسانيتها وكرامتها ، فالمرأة محتاجة إلى التعليم لتكون إنسانا يعقل ويفكر ويريد ما هداه إليه فكره ، ويعيب قاسم أمين على الرجل فى عصره نظرته التى يشوبها الازدراء إلى المرأة والتى تجعله لا ينظر إليها إلا على أنها شىء يقوم بحاجاته ويدير شئونه .

ولقد ظلت المرأة لأجيال عديدة وهى خاضعة لحكم القوة مغلوبة لسلطان الإستبداد من الرجل فأغلق فى وجهها سبل العيش والكسب ولم يبق أمامها إلا أن تعيش ببعضها إما زوجة أو مفحشة .

مضت أزمان طويلة وهى لا تملك إلا أن توجه نشاطها إلى التفنن فى طرق استمالة الرجل إليها والإستيلاء على أهوائه وخواطر نفسه[1] .

وخلال هذه الأزمان لم يمس عقل المرأة شىء من التربية الصحيحة فضعفت فيها قوة التفكير وانفرد الحس بالتصرف فى إرادتها فحسها هو المميز عندها بين الخير والشر ، وهو الذى يوجهها فى الإختيار بين النفع والضرر فهى تنفر أو تميل فإن أحبت أخلصت لا عن عقل وصدرت منها الأعمال الجميلة فيما تحب ولمن تحب بمحض الهوى لا بأصالة الرأى وإن نفرت ارتكبت أكبر الجرائم غير بصيرة بالعواقب وعلى هذا لم تكن المرأة فى نظر الرجل « إلا كما يكون لحيوان لطيف يفيد صاحبه ما يكفيه من لوازمه تفضلا منه على أن يتسلى به »[2] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٤ .

فلو عنى بتربية عقل المرأة وتنمية الملكات الفاضلة فيها لنمت فيها قوة الحكم على احساسها ، ولتصريف فى أعمالها على مقتضى الحكمة وقواعد الأدب .

فالمرأة المصرية على هذا محتاجة للتربية تأكيدًا لذاتها وتحقيقًا لشخصيتها وتمتعًا بحقوقها وحريتها .

أما عن الغرض الثانى وهو الإعداد للحياة الأسرية فقد سبق أن ألمحنا إلى أهمية التربية لإعداد المرأة كزوجة صالحة توفر جو الإستقرار للحياة الأسرية ، وكأم تغرس الفضائل فى نفوسالأبناء .

ولقد أخذ قاسم أمين على الزوجة المصرية بعدها عن هذا الغرض فهى مهما كانت لا تعرف من زوجها غير أنه طويل أو قصير ، أبيض أو أسود ، أما قيمة زوجها العقلية والأدبية وسيرته وطهارته ودقة احساسه وأهدافه فى الوجود وكل ما يصير به الرجل محترما – فهذا لا يصل إلى عقلها شيء منه ، وإن وصل فلا يؤثر على منزلته فى نفسها ، ويذكر أن نساءنا قد يمدحن رجالا لا يقبل رجل شريف أن يمد لهم يده ، وذلك لأن المرأة الجاهلة تحكم على الرجل بقدر عقلها ، فأحسن رجل عندها هو من يلاعبها طول النهار وطول الليل ويكون ذا حظ وفير من المال لقضاء ما تشتهيه من الملابس والزينة ،أما أبغض الرجال عندها فهو الذى يقضى أوقاته مشغولا بمطالعةكتاب حتى إنها لتلعن الكتب والعلوم التى تسلب منها هذه الساعاتوتختلس الحقوق التى اكتسبتها على زوجها « وما سمع قط أن امرأة مصرية ممن نعنى رضيت بمباشرة العلم »[1] .

كذلك أيضا أخذ قاسم أمين على الأم المصرية بعدها عن هذا الغرض فهى تجهل قوانين الصحة حتى بلغ من جهلها أن تهمل ولدها من النظافة فيعلوه الوسخ وتتركه متشردا فى الطرق والأزقة يتمرغ فى الأتربة كما تتمرغ صغار الحيوانات حتى جعلتنا جميعا مصابين منذ طفولتنا بشلل فى أعصابنا فإذا ما رأينا عملاً جميلاً مدحناه من طرف اللسان ، وإذا رأينا فعلاً قبيحًا استهجناه بهز الرؤوس دون أن نشعر بأى إحساس باطنى يدفعنا على الإندفاع إلى الأول ولا على الإبتعاد عن الثانى ، وهى التى تسلك فى تأديب ولدها طريق الإخافة بالجن والعفاريت ووقايته من الضرر بتعليق التعاويذ والطواف به حول القبور ، وفى زوايا الأضرحة ، حتى لقد صار مقررا أن الأمهات لا يصلحن فى تربية الأولاد ، وصار المثل السيء وهو « فلان تربية امرأة » وينتقل قاسم أمين إلى المقارنة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ٣٥

بالأم الغربية التى تفوق فى تربيتها تربية الرجل حتى إن أحسن الناس تربية هم من ساعدهم الحظ فى أن تتولى تربيتهم امرأة ، والغربيون يفتخرون بتأثير النساء فى أحوالهم ويقول « لقد قرأت فى أحد كتب رونان الفيلسوف الشهير ما محصله : إن أجمل ما وضعه فى مؤلفاته كان الهاما من أخته » .

وعن الغرض الثالث والأخير يذكر قاسم أمين أن المسلمين لو تبصروا لعلموا أن إعفاء المرأة من أول واجب عليها وهو التأهل لكسب ضروريات هذه الحياة بنفسها هو السبب الذى جر ضياع حقوقها فالبنت التى فقدت أقرباءها ولم تتزوج والمرأة المطلقة والأرملة التى توفى زوجها والوالدة التى ليس لها أولاد ذكور أو لها أولاد قصر – كل هؤلاء يحتجن إلى التعليم حتى يستطعن القيام بما يسد حاجاتهن وحاجات أولادهن ، وبعدهن عن التعليم يرغمهن على طلب الرزق بوسائل مخالفة للآداب ، ويمكن أن يقال لو أننا بحثنا عن السبب الذى قد يحمل امرأة مسكينة تبذل نفسها فى ظلام الليل لأول طالب – لوجدناه فى الغالب شدة الحاجة إلى القليل من المال لا الميل إلى تحصيل اللذة .

على أنه لو فرض أن المرأة لا تخلو من زوج أو ولى ينفق عليها أفلا تكون التربية ضرورية بمساعدة هذا العائل إن كان فقيرًا ، أو تخفيف شىء من أثقال إدارة المال داخل البيت إن كان غنيًا ، فإن كانت المرأة غنية وهذا نادر أفلا يفيدها التعليم فى تدبير ثروتها وإدارة شئونها بدل أن تلجأ لولى أو تتخذ أختاما ؟

هذا عن الأغراض التى يهدف إليها تعليم المرأة المصرية كما تصورها قاسم أمين .

**ما يجب أن تتعلمه المرأة المصرية :**

يرى قاسم أمين أن المرأة المصرية لكى تحقق الأهداف السابقة فإنها يجب أن تحصل على مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية « فيجب أن تتعلم كل ما ينبغى أن يتعلمه الرجل من التعليم الإبتدائى على الأقل حتى يكون لها المام بمبادىء العلوم يسمح لها بعد ذلك باختيار ما يوافق ذوقها وإتقانه بالإشتغال به متى شاءت .

فإذا تعلمت المرأة القراءة والكتابة ، واطلعت على أصول الحقائق العلمية وعرفت مواقع البلاد وأجالت النظر فى تاريخ الأمم ووقفت على شىء من علم الهيئة والعلوم الطبيعية ، وكانت حياة ذلك كله فى نفسها ، عرفانها العقائد والآداب الدينية ، استعد عقلها لقبول الآراء السليمة وطرح الخرافات والأباطيل التى تفتك الآن بعقول النساء ، وعلى من يتولى تربية المرأة أن يبادرها من بداية صباها بتعويدها على حب الفضائل التى تكمل بها النفس

الإنسانية فى ذاتها والفضائل التى لها أثر فى معاملة الأهل وحفظ نظام القرابة ، والفضائل التى يظهر أثرها فى نظام الأمة حتى تكون تلك الفضائل جميعها ملكات راسخة فى نفسها ، ولا يتم ذلك إلا بالإرشاد القولى والقدوة الصالحة .

هذه هى التربية التى أتمنى أن تحصل عليها المرأة المصرية ، ولا أظن أن المرأة بدون هذه التربية يمكنها أن تقوم بوظيفتها فى الهيئة الإجتماعية وفى الأسرة[1] .

## ميادين العمل أمام المرأة :

تحدث قاسم أمين فى كتابه (المرأة الجديدة) عن الميادين التى يمكن أن تعمل فيها المرأة .

( أ ) فهى يمكن أن تمارس مهنة التدريس ، وصناعة تربية الأطفال لما تتحلى به من صبر ودأب .

(ب) كذلك أيضا يمكن أن تزاول مهنة الطب لما تتصف به من رقة شعور ونبل احساس ورهافة عاطفة .

(جـ) كذلك أيضا يمكن أن تزاول جميع الحرف الأدبية ، فهى تملك الإستعداد للتذوق والإحساس بالجمال .

( د ) أيضا فإنها يمكن أن تزاول الأعمال التى تقوم على الترتيب والتنظيم كالتجارة مثلا وهذا أيضا يتناسب مع حبها للجمال وميلها للتنظيم والذوق .

ولقد صرح بأنه ليس لازما أن يكون التعليم بهدف الإشتغال والعمل ، وإنما يجب أن تتعلم بحيث تكون قادرة على العمل إذا احتاجت إليه .

## قصور تعليم المرأة فى عصره :

لا يرضى قاسم أمين عن نوع التعليم الذى تزود به المرأة ويعيب عدم مساواة المرأة بالرجل بالتعليم ويطالب بأن تكون هناك مساواة حتى على الأقل فى التعليم الإبتدائى .

ويذكر أن ما يتعلمه بعض البنات الآن غير كاف لأنهن يتعلمن القرآءة والكتابة بالعربية وبلغة أجنبية وشيئا من الخياطة والتطريز والموسيقى ولا يتعلمن من العلوم ما يستفدن منه فائدة ، بل ربما زادتهن تلك المعارف غرورا بأنفسهن فتظن الواحدة أنها متى عرفت

---

(١) المرجع السابق ، ص١٨ ، ١٩ .

تقول « نهارك سعيد » باللغة الفرنسية فقد فاقت أترابها ولا تتنازل بعد ذلك لأن تشتغل بعمل من الأعمال المنزلية .

أكثر ما تعرفه المرأة التى يقال إنها متعلمة هو القراءة والكتابة وهذه واسطة من وسائط التعليم وليست غاية ينتهى إليها ، وما بقى من معارفها فهى قشور تجمعها الحافظة فى ريعان العمر ثم تنفلت منها واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى شيء ، أين هذه القشور من الحقائق العلمية التى يتغذى منها العقل ويتقوى بها على مطاردة الوهم[1] .

## تربية المرأة والحجاب :

يرى قاسم أمين أن الحجاب بهذه الصورة يعارض الدعوة لتربية المرأة ويعرقلها لذا ارتبطت الدعوة لتربية المرأة بالدعوة للسفور ، والسفور لا يعنى إلغاء الحجاب ، وإنما هو تفسير آخر لمعنى الحجاب كما ورد فى القرآن الكريم فالحجاب كما ورد فى القرآن الكريم وكما عرضنا له فى الفصل الأول يتيح للمرأة أن تكشف عن وجهها وكفيها ، ولا يبيح لها أن تبرز مفاتنها أو تكشف عن شيء من جسمها فمثل هذا لا يقره الشرع ، وهذا ما دعا إليه قاسم أمين لكن أن يكون الحجاب بهذه الصورة من الحبس داخل جدران المنزل أو الإختفاء تماما فى الثياب فهذا مرفوض وغير مقبول لأنه لا يتمشى مع ضروريات الحياة .

ويعيب على من يتشبث بالحجاب ويخشى من حرية المرأة باسم الخطيئة ، كما يعيب الإستدلال بحال المرأة الأوربية وما يرتبط بهذه الحال من احصائيات ، ويعلق على هذه الإحصائيات بأنها غير دقيقة ، وأن الرجل الأوربى إذا كان لا يتزوج بالسهولة التى يتزوج بها الشرقى ، فذلك لأن مفهوم الزواج لدى الغربى مغاير له لدى الشرقى ، فالرجل الغربى لا يقدم على الزواج إلا بعد دراسة وثقة بينه وبين من يتخيرها شريكة له فى حياته .

ولا يحق أن تربط بين السفور وبين هتك العفة ، فليس الحجاب هو الكفيل بعفة المرأة فقد يصدر عنها من القول أو الفعل ما يثير الرغبة ، ثم إن التشديد على البنت كلما تقدمت بها السن مع التزمت فى الإختلاط ، قد يثير إهتمامًا فى سن مبكرة إلى ما بين الجنسين من فارق مما يكون له أسوأ الأثر فى نفسها .

---

(١) المرجع السابق ، ص٤٦ .

فالحجاب بهذا الشكل يحول بين المرأة وبين التربية ، فالسن التى تحجب فيها المرأة – غالبا – هى ما بين الثانية عشرة والرابعة عشرة من عمرها ، وهى السنن التى تظهر فيها حاجة المرأة لمعرفة العالم حولها ، وليس كافيا أن تكتسب المرأة التعليم وهى فى عقر دارها ، لأنها بحاجة إلى التجربة والخبرة الفعلية « فالتربية ليست ذلك الشىء البسيط الذى يفهمه عامة الناس حيث يتصورون أنها عبارة عن تخزين كمية من المعارف المقررة فى برامج المدارس ، ثم امتحان ثم شهادة ليس بعدها إلا البطالة والجمود ، وإنما التربية هى العمل المستمر الذى تتوسل به النفس إلى طلب الكمال من كل وجوهه »[1] .

وتخفيف الحجاب لا يمكن أن يكون سببا لخفة المرأة أو طيشها وإنما السبب هو سوء التربية سواء أكانت تربية جسمية أم عقلية ، فسلامة الجسم يتبعه سلامة العقل .

وعلى هذا فارتقاء الأمة يحتاج لعوامل أهمها الإرتقاء بأمر المرأة .

بهذا التناول نستطيع أن نقف على معالم فكره فى المرأة وتربيتها وأن نلم بأطرافها المتكاملة التى تشكل صورة كلية وهى : المرأة والمساواة المرأة والتربية – المرأة والحجاب .

وبهذا التناول أيضا يتضح لنا مدى اجتهاد قاسم أمين فى التوفيق ما بين الإسلام الذى يتصف بالخلود وما بين ضرورات العصر وأبرزها الحاجة إلى تعليم المرأة .

## صدى هذه الآراء :

ذكرنا فى عصر قاسم أمين أنه كان من أبرز سماته التحول والصراع فى كل مجال ، لذا فقد كان طبيعيا أن يجد قاسم أمين معارضة جارفة مع ظهور كتابه « تحرير المرأة » وكان عليه أن يعد نفسه لدحض كل رأى وتنفيذ كل دليل ، مع كتاب تحرير المرأة حدثت ضجة عارمة امتد أثرها إلى قصر عابدين نفسه فحيل بينه وبين دخوله لكن هذا لم يفت فى عضده أو يخضد من شوكته[2] .

وقد اختلف الكتاب والمفكرون حول هذه الآراء الجريئة التى نادى بها قاسم أمين وتوزعوا ما بين مؤيد له ومنكر عليه ، لقد قبل عن هذه الدعوة إنها نزعة شيطانية ألقى بها فكر فاسد ، وقيل إنها دسيسة إنجليزية من دسائس الإحتلال ، وقيل إنها فكرة أوروبية استحسنها المؤلف لأنه ربى فى أوروبا ، وقيل إنها بدعة مسيحية يراد بها القضاء

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٠

(٢) محمد حسين هيكل ، تراجم مصرية وغربية ، ص ١٧٨ .

على ما بقى فينا من آثار الشرف ، وقيل إنها آلة من آلات المسألة الشرقية التى ابتدأت بالحروب الصليبية .

هذا هو فكر الأمى قبل أن تقرأ كتاب قاسم أمين تحرير المرأة[1] .

وفى جريدة اللواء كتب مصطفى كامل يقول « إنه قد زار الكثير من البلاد الأوربية واطلع على أحوال المرأة فوجد أن الحرية قد أفسدت على المرأة آدابها ، ومحت كثيرا من صفاتها الفاضلة وما يوافق البلاد الأوربية غير ما يوافق البلاد الإسلامية ، وهو يتفق مع قاسم أمين فى تعليم المرأة ولكنه ينكر هذه الحرية التى يدعو لها قاسم أمين ويقول « إن الحرية التى تقتل العصمة شر عندى من الحجاب القاتل للرذائل »[2] .

على أن أهم الدراسات الناقدة تلك الدراسة التى قام بها محمد طلعت حرب ، وأهم الآراء التى تضمنتها هذه الدراسة هى أن الأديان جميعا تنفى المساواة التامة بين الرجل والمرأة فسعادة الأسرة لا تكون بوجود قائدين فى بيت واحد ، وإنما تكون بتوجيه الرجل التوجيه السديد ، ويرى أن طبيعة كل من الرجل والمرأة قد حددت عمل كل منهما فما يصلح له الرجل لا تصلح له المرأة .

وهو يقرر التربية الخلقية للمرأة حتى تسعد الأسرة ، وحتى يشب الأبناء وقد تشبعوا بمكارم الأخلاق ، ويجب أن تستقى هذه التربية من ديننا ومدنيتنا الإسلامية .

أما الحجاب فهو أصل من أصول الأدب يجب التمسك به إلا أن المطلوب أن يكون منطبقا على ما جاء به الشرع .

وإذا كان الشعر مرآة عصره ، فإن الشعر الحديث لم يغفل هذه الدعوة التى جهر بها قاسم أمين فصارت غرضا للشعراء رافضين لها أو مؤيدين ، ومن الشعراء الذين هاجموا قاسم أمين الشاعر أحمد محرم إذ كتب يقول :

أغرك يا أسماء ما ظن قاسم ... أقيمى وراء الخدر فالمرء واهم
سلام على الإسلام فى الشرق كله ... إذا ما استبيحت فى الخدور الكرائم
أقاسم لا تقذف بجيشك تبتغى ... بقومط والإسلام ما الله عالم

أما حافظ إبراهيم فكان من المؤيدين لدعوة قاسم أمين فهو يقول :

---

(١) نجلة المرأة فى الإسلام ، مصر فى ٢٥ مارس ١٩٠١م .
(٢) اللواء ، (٣١ يناير ١٩٠٩م) .

الأم مدرســـــة إذا أعدتهـــا ... أعـــددت شعبا طيب الإعـراق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا ... بين الرجال يجلن فى الأسواق
كلا ولا أدعـــوكم أن تسرفوا ... فى الحجب والتضييق والإرهاق
ليست نســـــاؤكم أثاثا يقتنى ... فى الدور بين مخـــادع وطباق
فتوسطوا فى الحالتين وأنصفـــوا ... فالشر فى التقييد والإطـــلاق
ربوا البنات على الفضيلة أنهـــا ... فى الموقفين لهـــن خير وثـاق
وعليكم أن تستبين بنـــــاتكم ... نور الهدى وعلى الحياء البـاقى

سار قاسم أمين فى طريق الإصلاح بخطى ثابتة كفلت له أن يترك آثارها على درب الكفاح ، وضمنت له أن يظل اسمه ذائعا ترددده الأفواه كلما حصلت المرأة على جديد ، فهو الذى ناصرها بفكره وروحه وعاش لها وبها ، وإليها أهدى ثمار كفاحه المرير ، لقد آلمه أن تصوب إلى دينه سهام الشك والتضليل ، وأوجعه ما يردده المستشرقون مثل « داركور » من أن الإسلام هو سبب ضعف المرأة وتخلفه فانبرى يكشف الحقيقة عن جوهر الإسلام الأصيل ، ويثير الهم ويستنهض العزائم لتعيد للدين قوته وحيويته ، فبصفاء الدين وقوة الروح تعلو منزلة المرأة وتسمو مكانتها بتربيتها تربية سليمة .

وهكذا تختلف الأساليب ولكنها تلتقى عند غاية واحدة ، كان للأفغانى أسلوبه الثورى ، وكان لمحمد عبده أسلوبه الاجتماعى ، كان لقاسم أمين أسلوبه المحدد بتحرير المرأة تربيتها ، والجميع يهدفون إلى رقى الإسلام والنهوض بالمسلمين عن طريق اثبات مرونة الإسلام وقدرته على مسايرة العصر بل قدرة العصر على مسايرة الإسلام .